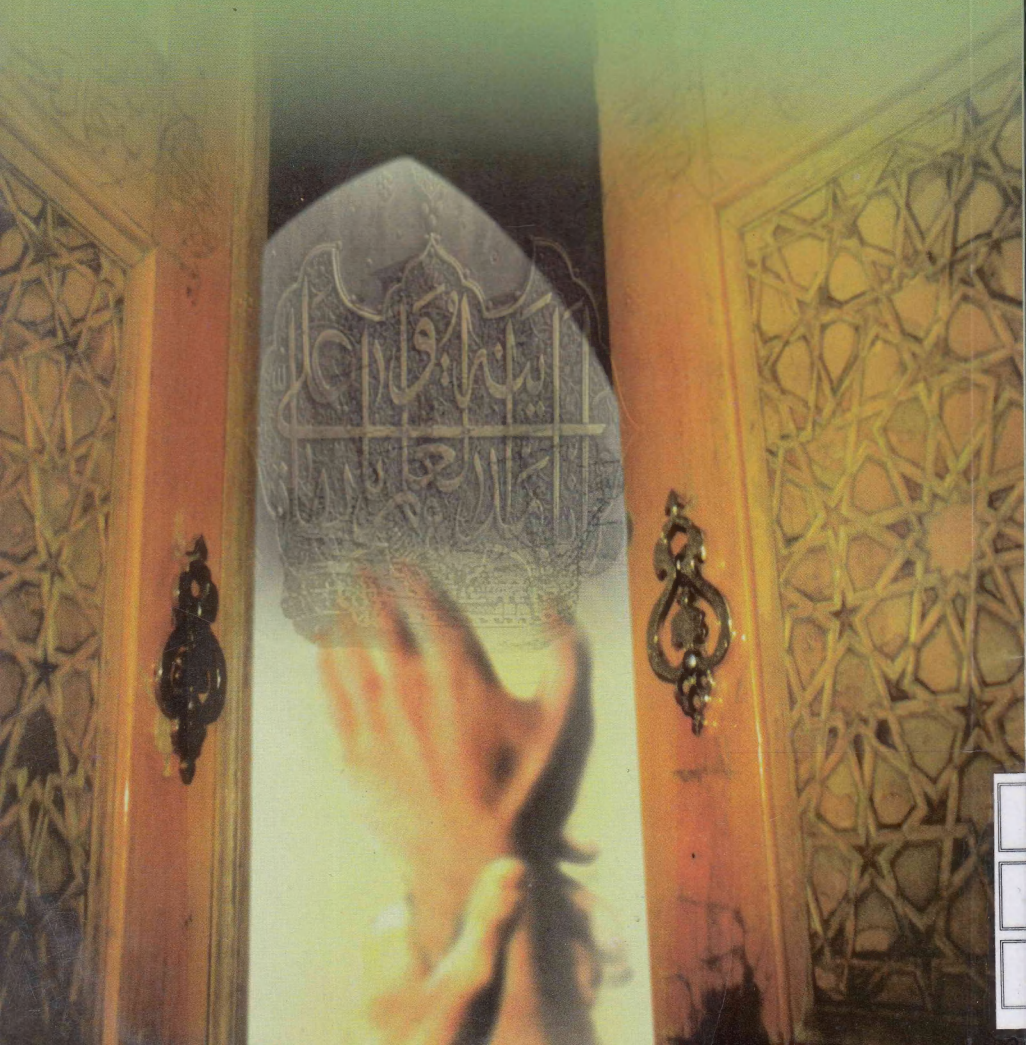


السيد محمد علي الحلو

الملتحقون بسفينة النجاة

قراءات في الانتماء المعرفي



المتحفون

بسفينة النجاة

قراءات في الانتماء المعرفي

السيد محمد علي الحلو



الطبعة..... الأولى ١٤٢٤هـ. ق / ٢٠٠٣م

المطبعة..... مطبعة محمد

عدد النسخ..... (٥٠٠) نسخة

الله هزلو

إلى كلِّ مَرٍّ ..

يستشعر حرة الانتماء ..

ليتنزّر من عبودية الانتساب ..

أهدي تجربة أجيالٍ عزّ عليها أن تتأخّر دون أن تلتحق

بسفينة النجاة..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ المَقَرَّةُ حَالِيَّةٌ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين .
تعدّ قراءة التاريخ الإسلامي ضرورةً ملحةً في خضمّ الواقع المعاش ، فضلاً
عما يكشف عن مرحلة حاسمة من الأحداث التي توقّف عليها مصير أمة أو هويّة
فرقة ، أو فلسفة جماعة ، أو توجّهات فردٍ شارك في تلك الأحداث الهائلة ،
أو طالته تلك الوقائع الماثجة ؛ بمصالح حاكم ، أو سياسة نظام ، أو مطامع جهةٍ
أحالت الحقيقة أسطورة ، والخيال واقع ، أو استمكنت من غوغاء الناس لتنفذ في
أوساطهم ، وتشرب طموحاتها لرغباتهم .

وعلاقة الماضي بالحاضر علاقة تعايش تمتدّ جذوره بامتداد زمنٍ عتيق من
الأحداث ترتسم ملامحها على صفحات تاريخ مقروء حيناً ، أو معاش في خضمّه
أحياناً أخرى ، وكأنّ القارئ لهذا التاريخ كالشاهد فيه أو الشاهد عليه ، فهو بقدر ما
يقرأه يعيشه ، وبقدر ما يعيشه يشارك في صناعته ، وبادر إلى صياغته ، ويساهم
في حيثياته من حيث هو إنسانٌ مستقلٌّ عاقلٌ رشيد ، لا من حيث هو تابعٌ ساذجٌ
عنيد ، ومهما بلغ بالإنسان الزهو في انتسابه ، يجتذبه الحقُّ إلى انتمائه .

وبين أيدينا نماذج نورٍ اتبعت الحقّ في غفلةٍ عن عصبيّتها ، واتباع لداعي
فطرتها ، تلتمس طريق الهداية في خضمّ صراعاتٍ تتجاذبها بأهوائها ،

أهل البيت عليهم السلام ، ودونهم فتبقى عاجزة عن معرفة هذا الدين وشؤونه وحيثياته ؛ لقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ^(١).

قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام : «نحن الراسخون في العلم ، ونحن نعلم تأويله» . وهذه الآية هي أدل آية على تحديد «الانتماء المعرفي» لدى الفرد ومحاولة ترشيد انتماءاته من خلال ترسيم معالم الأخذ والاصغاء اللتان تشكّلان اليوم أهمّ تحولات المعرفة على الصعيد الفردي ، بل وحتى الجماعي كذلك .

وليست هذه دعوة للانتماء الفكري مجردة عن الواقع ، بقدر ما هي حقيقة مثلت أمامها أجيال المعرفة إبان الدعوة الإسلامية التي من شأنها أن تخلق «إنسانها الجديد» بكلّ حوافزه المعرفيّة ، ودواعي التطلّع إلى آفاق هذا الكون الرحب الذي يلقّ معه معادلات بقيت ألغازاً لم تتكفّل الإجابة عنها من الديانات السماوية السابقة عدا ما تقتصر على محور التوحيد والعبادة لله تعالى ، وعلى أخلاقيّة تكفل نبذ الشرك والعبودية لغير الله وحده ، ويأتي الدين الإسلامي يحمل معه هموم الإنسان وتوجّهاته ، بل آماله وتوجّساته ، ليعيد صياغة الإنسان من جديد بما يعرضه من ملاحم المعرفة مدخراً معها إجابات على تساؤلات يحيلها من ألغاز إلى مسلّمات ، ومن هواجس إلى حقائق تعيش معه ويعايشها في كلّ حين .

هذه الملحمة الفكرية التي يقدمها الدين الجديد باتت منطلقاً لرؤية جديدة

لهذا الكون ، ومثاراً لتطلّعات معرفيّة جديدة ، وبقيت مشكلة المسلم تتخذ نطاقاً آخر في ضوء هذه المتغيّرات ، فمن «برمجة المعرفة» التي كان يفتقدها العقل الإنسان إلى مشكلة «الانتماء المعرفي» التي -إن لم يحسن اختيارها- تفقده الشيء الكثير ، بل تحيله إلى منهجيّة التقاطيّة في المعرفة الإنسانيّة التي هي فرع معرفته الدينيّة الكونيّة.

أي ستكون مشكلة المسلم بعد ذلك هي محاولات التشخيص في اختيار المسلك الفكري ، أو المشرب المعرفي الذي من شأنه أن يُشبع فضوله وتطلّعه الديني .

هذا ما قصدناه من إشارتنا لتوجّسه بعد أن بيّنا رشدَه ونضوجه ، أي ستكون مشكلة الانتماء المعرفي هي المشكلة الشاخصة في ظلّ هذه التيارات الفكرية وعلى مدى تاريخ الإنسان المسلم منذ الدعوة الإسلاميّة .

في غضون التغيّرات التي شهدتها العالم إبان الثورة الصناعيّة شهدت عدّة معادلات تغيّراتها كذلك ، فلم تكن هي ثورة تكنولوجية بقدر ما هي ثورة اقتصاديّة ، وتحولات اجتماعيّة ، ومتغيّرات فكريّة ، أي استتبعَت هذه المتغيّرات في الآلية الصناعيّة إلى متغيّرات في آليات الفكر والثقافة كذلك .

وتستوعب هذه الثورة الصناعيّة ثورات الفكر والاجتماع ، وترك تأثيراتها حتّى على العلاقات العامّة بين الأفراد لتمتدّ تطوّراتها بين المجتمعات كذلك .

وفي أواخر القرن العشرين بدأت بوادر «الثورة المعلوماتيّة» تظهر في أفق المجتمع العالمي بعد أن كانت تحدّد هويّتها علاقات المجتمعات تبعاً للمعادلات الدولية المتغيّرة سريعاً ، ثمّ تتفجّر هذه الثورة إلى حالة عالميّة من المعومات ، ثمّ توجّه إلى علاقات عالميّة تتحكّم فيها «عولمة» الاقتصاد إلى «عولمة»

المعلومات والعلاقات الدولية إلى عولمة الفكر والثقافة، سواء على الصعيد الفردي أو الاجتماعي، أي أنّ الفرد المسلم يعيش اليوم وسط ثورة معلوماتية متسارعة تأخذ «بزماء» مجتمعات كاملة لتحيلها تابعة تبعاً لتكنولوجياتها المعلوماتية، وتحيل المجتمع العالمي إلى قرية صغيرة يرتبط غرب الأرض بشرقها في لحظات «اتصالية» تفوق تصوّرات ذهنية الفرد الذي ينكفأ على تقليديّاته وسلوكيّاته الساذجة.

إذن يُعدّ الفرد المسلم جزءاً من هذه الثورة المعلوماتية، أي في خضمّ هذه المعادلات المعلوماتية يشكّل رقماً له تأثيراته البالغة على حساباتها، وإذا كان البعض متوجّساً من عولمة الثقافة والفكر فذلك شعور بالخيبة أن يُزجّ العالم الإسلامي في مثل هذه الثورة الهائلة من التكنولوجيا المعلوماتية، فالتوجّس الذي يستشعره البعض في التعامل التقني المعلوماتي بحجّة «الانخراط السيئ» في خضمّ هذه الثورة وما سينتج من العواقب السيئة عند ذلك، فإنّ هذا البعض - وإن كان منطلقاً من الحرص والإخلاص - إلّا أنّ توجّساته لا تُعدّ مبرراً في نفسها من أجل حجب المجتمع الإسلامي متفوقاً ضمن علاقاته الخاصة دون الانفتاح على الآخر.

وإذا كنّا والآخر لا تربطنا قواسم مشتركة - في حدود التقنية المعلوماتية على الأقل - فإنّ ذلك سيزيد من واقع توجّساتنا ليحيلها إلى حقائق نتعامل معها - فيما بعد - تابعين غير متبوعين، فعدم الانفتاح ومحاورة الآخر يوشك بنا أن نغلق على أنفسنا، وننكفأ على ذواتنا غير جديرين من «ملاحقة» ذلك الكمّ الهائل من المستجدّات اليومية المتسارعة والخاطفة، ثمّ نسير الهويّنا لتتابع ما جرى في الساحة العالميّة من حدث أو مجريات. وليست هذه دعوة لأنّ ننسلخ عن ذواتنا

وقيمنا وثوابتنا، بقدر ما هي دعوة لإعادة الثقة في نفوسنا، فنحن جديرون في التعامل مع الآخر على أساس التبادل المشترك في وجهات النظر المختلفة، وليس على أساس التبعية الفكرية أو الاستعمار الثقافي.

إن ثقتنا بمبادئنا يدفعنا إلى محاولة فهم الآخر على أساس ما نتمسك به ونعتز به من قيمنا الأصيلة.

لماذا هذا التوجس ونحن نملك ديناً يضمن لنا أن نقتحم الطرق الوعرة بنجاح، فما بالنا ونحن نتعايش في زمن حضاري يتطلب منا جهداً «عادياً» للحوار مع الآخر، فنستعرض بذلك حضارتنا التي يستذوق حلاوتها الجميع وتأنس إلى نعماتها كل فطرة؟!

ويسعى الإنسان بكل جهده للبحث عن ذاته المضیعة في خضم صراعات فكرية شهدها العالم منذ خليفته، ويبدأ الصراع بين الخير والشر، في ملاحمه الطويلة، فتبار الخير الذي يمثل آدم عليه السلام يتغلب على نزعات الشر والعدوان الذي سيكون الشيطان مصدره ومنتهاه، وكلما حاول هذا الشر أن يغوي آدم عليه السلام خسِر الجولة وفشل محاولاته عند ذاك، فإن لآدم عليه السلام انتمائه المعرفي الإلهي الذي لم يخيبه لحظة واحدة في كل حين من أحيين هذا الصراع، فقله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(١)، فهي إشارة واضحة إلى هذا الانتماء المعرفي الذي سيكون المصدر الوحيد لمعرفة آدم «بالأسماء»، وقد اعترف الملائكة من قبل ذلك بعجزهم عن

استقلالهم في المعرفة ، وعلمهم من دون ما يعلمهم الله تعالى ، فقد حدّوا انتماءاتهم المعرفيّة وأوكلوها إلى الله تعالى .

وتشهد الأرض أوّل مرّة ذلك الصراع الدامي بين الانتمائين ، بين الانتماء الإلهي المعرفي الذي مثله هابيل ، وبين اللانتماء أو الانتماء الشيطاني الذي آل أمره إلى الانتقام من هابيل وقته ، والقرآن الكريم يصوّر لنا هذا المشهد الدامي الحزين: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ بِإِيدِي إِلَيْكَ لِأَفْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ (١).

فالصراع بين انتمائين أو بين الانتماء واللانتماء ، سيكون فاتحة عهد الإنسان وهو يعيش على ظهر هذه الأرض ، ولم يغفل القرآن الكريم أن يشير إلى أهميّة الانتماء ، ويشيد بالانتساب المعرفي الإلهي الذي يختاره الإنسان منطلقاً من حرصه على ذلك الكمال المعرفي والرشد الفكري ، ثمّ هو ينعي على قابيل في انتمائه الخاطئ ، أو اللانتماء المعرفي الذي ستكون نتيجته «الآنا» الضيقة التي تؤدّي بالآخر لتبعده عن أصل وجوده أو محاولة تهميشه على أقلّ تقدير ، ويبرز القرآن في هذه الآيات أهميّة «الانتماء المعرفي» الذي يولي اهتمامه بالآخر

ويتعامل معه على أساس إنسانيته دون إلغاء أو تهميش.

وبقدر ما تمتد مساحة الانتماء المعرفي بامتداد مساحة الوعي والإدراك، تضيق معها حالات اللاانتماء بعدما يستشعر الإنسان أن في اللاانتماء ضياعه وحيرته، أي أن التدرج المعرفي الإنساني يحمل معه حالات الانتماء المعرفي مسجلة على أساس تصاعد الخطأ البياني للوعي والإدراك الذي ينعم به أفراد النوع الإنساني. وبمعنى آخر فإن هذه البيانات التصاعديّة للوعي والإدراك تظهر معالمها واضحة بشدّة إبان عهد الرسالات النبويّة، فمعالم الوعي الإنساني يتكفّلها الأنبياء لمهمّتهم الإصلاحية التي سادت مجتمعاتهم وقتذاك، لذا فإنّ الحقبة الإصلاحية التي نِعِمَ بها مجتمع نبيّ الله نوح ﷺ، يسجّله القرآن الكريم على أنّها فترة إصلاح عالميّة يشهدها العالم وهو يعيش ممارسات تلقّي المعرفة الصحيحة منها أو الخاطئة كذلك، بمعنى أن الانتماء المعرفي إبان عهده الشريف شهد تحولات في الجانب المعرفي فأصابه بعض وأخطأها الآخر، وكانت لسفينة نوح ﷺ أثر في تشخيص الانتماء المعرفي وقتذاك، لذا فإنّ القرآن الكريم سجّل حالة الانتماء هذه مصنّفة على أساس ركوب السفينة وعدم ركوبها، من هنا فإنّ السور القرآنيّة في سورة هود تتحدّث «وثائقيّاً» في تقديم صورة الانتماء المعرفي وتشخيص ممارسة النوع الإنساني بغضّ النظر عن انتمائاته وتوجّهاته، فالسور القرآنية تستعرض لنا بشكل «وثائقي» نجاح سيرة هذه المعرفة لطرفي الانتماء المعاكس، فالذين انتموا إلى نوح ﷺ لا تربطهم إلّا رابطة الإيمان وعلاقة المعرفة وإن بعدوا في علقتهنم النسبيّة، بينما مثّل ابن نوح انتماءً خاطئاً، أو اللا انتماء الذي أودى به إلى الحضيض والهلاك. قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللّٰهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ

* وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴿١﴾. وهذا الصراع الذي تشهده رسالة نوح بين واقعية الانتماء وبين اللاانتماء تُسفر عنه حالة الضياع ومن ثم الهلاك.

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٢)، فإن نتيجة هذا الصراع سيُصنّف القوم إلى الانتماء وإلى اللاانتماء، وسيحدّد هذا الانتماء على أساس الإيمان برسالة نوح ﷺ والانتساب إليها.

قال تعالى: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيَنَا وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ * وَيَصْنَعِ الْفُلَكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ * حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ * وَقَالَ ازْكُبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ازْكُبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَأَوْي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ (٣).

وهنا تتوالى مراحل الصراع بين الانتمائين، بين الانتماء الإلهي الذي ستمثله

(١) سورة هود: الآيات ٣٢ - ٣٥.

(٢) سورة هود: الآية ٣٦.

(٣) سورة هود: الآيات ٣٧ - ٤٣.

سفينة نوح ﷺ وبين الانتماء الذي ستشكله جبهة عريضة من المتمردين الذين سيمثلهم نموذجاً في الانتماء النسبي لنوح ﷺ دون أن يتسبب إليه معرفياً، وسيكون ابنه الذي يتمرّد على هذا الانتماء ليصفه القرآن الكريم بأنه عمل غير صالح: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَخْكُمُ الْحَاكِمِينَ﴾ * قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١﴾.

فالعلاقة النسبية والقرب السببي لا علاقة لهما في تزكية الفرد احداً خطأ الاختيار في انتمائه المعرفي.

من هنا علينا أن نقرأ حديث رسول الله ﷺ في أهل بيته وتشبيهم بسفينة نوح ﷺ فقال: «إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق» ﴿٢﴾.

فالركوب في السفينة وعدم الركوب إشارة إلى الانتماء المعرفي وعدمه لأهل البيت ﷺ، والتعبير بالغرق دلالة على الضلالة والضياع، وكأن قصة سفينة نوح ﷺ وظفها القرآن الكريم لهذا الغرض، أي مسألة الانتماء وعدمه، وأوضحها النبي ﷺ بتشبيه أهل بيته ﷺ بسفينة نوح.

من هنا علينا أن نتعرّف بعض الشيء على جهود الانتماء المعرفي الذي بذله الأئمة الأطهار ﷺ في معرفة هذا الانتماء وبيانه للأمة وهم يعيشون تحولات الظرف السياسي المتشجج ليسيروا بدقة الصراع المعرفي لصالح مهمتهم

(١) سورة هود: الآيتان ٤٥ و ٤٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين - الحاكم النيسابوري: ١٥١، الحديث ٣. ينابيع المودة: ٣٠.

الصواعق المحرقة - ابن حجر: ١٨٤ و ٢٣٤.

ورسالتهم ، وبالفعل حقق جهدهم المبارك تقدماً واضحاً في احتواء التيارات المعرفية المختلفة وهي في خضم تنافساتها ليحوز انتسابهم المعرفي تقدماً واسعاً ، وقبولاً منقطع النظير بالرغم من تيارات الفكر المعارض .

وإذا كنا في الزمن الصعب من الانفتاح على الآخر تبعاً للمعادلات الدولية القائمة ، فإن أئمة آل البيت عليهم السلام كانوا في الزمن الأصعب نتيجة للمعادلات التي كانت تطرحها الأنظمة السياسية الجائرة وقتذاك ، ومع هذا فقد أبدى أهل البيت عليهم السلام - تبعاً لجدهم رسول الله صلى الله عليه وآله - «لياقة» منقطعة النظير في أداء الحوار مع الآخر ، وحقّقوا تقدماً رائعاً في الحصول على نتائج بقيت تشهد له مدوّنات التاريخ .

ولكي تكتمل صورة هذا العطاء فإن عرضاً تاريخياً لتسجيل هذه الجهود الحوارية التي امتاز بها النبي صلى الله عليه وآله وأئمة آل البيت عليهم السلام نذكرها كشارات نصر لهذا المجهد العظيم ..

قال الصادق عليه السلام - في حديث طويل - : « ولقد حدّثني أبي الباقر ، عن جدّي عليّ بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن عليّ سيّد الشهداء ، عن أبيه أمير المؤمنين صلوات الله عليهم ، أنه اجتمع يوماً عند رسول الله صلى الله عليه وآله أهل خمسة أديان : اليهود ، والنصارى ، والدهرية ، والثنوية ومشركو العرب .

فقلت اليهود : نحن نقول : عزير ابن الله ، وقد جئناك يا محمّد لننظر ما تقول ، فإن اتّبعنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل ، وإن خالفنا خصمناك .

وقالت النصارى : نحن نقول : إنّ المسيح ابن الله اتّحد به ، وقد جئناك لننظر ما تقول .

وقالت الدهرية : نحن نقول : إنّ الأشياء لا بدو لها وهي دائمة ، وقد جئناك

لننظر فيما تقول ، فإن اتَّبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل ، وإن خالفتنا خصمناك .

وقالت الثنوية: نحن نقول: إنَّ النور والظلمة هما المدبران ، وقد جئناك للنظر فيما تقول ، فإن اتَّبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك ، وإن خالفنا خصمناك .

وقال مشركو العرب: نحن نقول إنَّ أوثاننا آلهة ، وقد جئناك للنظر فيما تقول فإن اتَّبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل ، وإن خالفنا خصمناك .

فقال رسول الله ﷺ: «أمنت بالله وحده لا شريك له وكفرت بكلِّ معبود سواه»^(١).

ويستمرّ الحوار بين النبي ﷺ وبين هؤلاء حتَّى ينتهي بأن يسلم هؤلاء ويدعونا لحجَّته ﷺ .

قال الصادق عليه السلام - في تكملة للخبر -: «فوالذي بعثه بالحق نبياً ما أتت على جماعتهم إلا ثلاثة أيَّام حتَّى أتوا رسول الله ﷺ فأسلموا ، وكانوا خمسة وعشرين رجلاً من كلِّ فرقة خمسة ، وقالوا: ما رأينا مثل حجَّتكَ يا محمد ، نشهد أنَّك رسول الله»^(٢).

إلى آخر ما احتجَّ به رسول الله ﷺ من محاججات مع مشركي زمانه .

كما أنَّ محاججات الإمام علي عليه السلام مع الصحابة حول مشروعية الخلافة وتحولات الوضع السياسي المشحون بالمنافسة والصراع يكشف عن حيوية أطروحة أهل البيت عليه السلام للانفتاح على الآخر بما يضمن بيان الحق وكشف الواقع . على أنَّ مسائل الإمام علي عليه السلام لابن الكواء أحد الماديين في زمانه ، وأجوبة

الإمام الحسن عليه السلام لأهل الروم ، وما عُرف به الأئمة الآخرون عليهم السلام من حوارهم مع أهل الأديان الأخرى والطوائف الإسلامية يكشف بجلاء مدى أهمية «الطرح المعرفي» لآل البيت عليهم السلام وهم في غضون بناء الشخصية الإنسانية فضلاً عن السعي لتكامل شخصية المسلم كذلك .

ولم يقتصر أئمة آل البيت عليهم السلام في منهجهم الحواري مع الآخر على مجهودهم الشخصي ما لم يعتنوا أصحابهم وأتباعهم لمشروعهم هذا ، فهشام بن الحكم وهشام بن سالم ومؤمن الطاق وأمثالهم ساهموا في ملأهم الحوار هذه ، وحققوا تقدماً في هذا المضمار ، بل تُعدّ جهودهم محاولات تأسيسية للمشروع الحواري الذي أصله آل البيت عليهم السلام لتُسجّل لهم سابقة هذا المجهود وليكون حافزاً لأتباع آل البيت عليهم السلام فيما بعد ، وسيحدّد بالتالي هوية الانتماء المعرفي للإنسان ، ولا أجد أحداً أحرص هذا اليوم من الشباب المتطلّع لثقافته أن يحدّد هوية انتماءاته المعرفية دون أن يعيش «حيرته» الفكرية «وضياعه» الثقافي في خضمّ هذه التيارات المعرفية الالتقاطية .

فضرورة المرحلة التي يعيشها إنساننا اليوم تحتمّ عليه تحديد دالة هذا الانتماء المعرفي ليؤسّس عليه توجهاته الفكرية والثقافية ، بل وانتماءاته الإنسانية كذلك .

الدراسة المقدّمة لا تُعدّ بالضرورة كشافاً كاملاً عن أسماء

الملتحقين بسفينة النجاة ، وإنما استقصينا أولئك الذين انحدروا

من أصول العداء والخلاف لأهل البيت عليهم السلام ، أو اشتهروا بنهج

الخلاف . أمّا الذين تمسّكوا بولاية علي عليه السلام فهم أكثر من أن

تحصى أسمائهم ، أو تُكشف حقائقهم وتوجهاتهم .

أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي

من أصحاب عليّ عليه السلام . أبى البيعة لأبي بكر والتزم جانب عليّ عليه السلام عند ذاك ، وقال مخاطباً عليّ عليه السلام : أنكم لطوال الشجر طيبة الثمرة نحن لكم تبع ، ولم يبايع أبا بكر حتى بايعه بنو هاشم ، فلما بايعوه ، بايعه أبان واخوته .

كان شيعياً ، قوي الإيمان ، حسن الدين ؛ إذ لم يأب عن البيعة حيثئذ إلا من امتحن الله قلبه للإيمان .

لم يُقتل في معركة بدر كما زُعم .

واختلف في وقت وفاته ، نُقل عن ابن إسحاق : أن أبان قتل لخمس مضيّن من رجب سنة خمس عشرة في خلافة عمر في غزوة الشام ، ثم نُقل عن موسى بن عقبة ومصعب والزبير وأكثر أهل النسب أنه قُتل في جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة في خلافة أبي بكر ، ثم قولاً ثالثاً بأنه قتل سنة أربع عشرة في صدر خلافة عمر^(١) .



أبو الحتوف بن الحرث الأنصاري

كان رأيُه رأي الخوارج ، خرج مع ابن سعد إلى حرب الحسين عليه السلام ، فلمَّا سمع استنصاره وصراخ النساء والأطفال لسماع استنصاره نالته الهداية الأبدية وتوفيق السعادة ، فقال هو وأخوه سعد :

إنَّا نقول لا حكم إلا لله ، ولا طاعة لمن عصاه ، وهذا الحسين بن بنت نبيِّنا محمد صلَّى الله عليه وآله ونحن نرجو شفاعته جدّه يوم القيامة ، فكيف تقاتله وهو بهذا الحال ، نراه لا ناصر له ولا معين ، فما لا بسيفيهما بين يديه عليه السلام على أعدائه ، وجعلا يقاتلان قريباً منه حتَّى قُتلا جمعاً ، وجرحا آخرين ، ثم قُتلا معاً في مكان واحد رضوان الله عليهما ^(١).



أخت السندي بن شاهك

كان السندي بن شاهك من أتباع هارون الرشيد، كُلف من قبله بسجن الإمام الكاظم عليه السلام، وكان قد ضيق عليه، بل يُعدُّ سجن السندي بن شاهك من أشدّها على الإمام عليه السلام، ومع هذا فإن أخته قد اطلّعت على حال الإمام عليه السلام وانتهت إلى القول بإمامته حين اعترفت بعبادته وزهده وورعه حتّى تيقّنت بإمامته؛ وذلك بقولها: «خاب قوم تعرّضوا لهذا الرجل»، ومعلوم أنّ خيبتهم هو خسرانهم لمعارضتهم له.

قال الخطيب البغدادي: أنّ أبا الحسن موسى بن جعفر حبس عند السندي فسألته أخته أن تتولّى حبسه، وكانت تتدبّر، ففعل، فكانت تلي خدمته، فحكى أنّها قالت: كان إذا صلّى العتمة حمد الله ومجّده ودعاه، فلم يزل كذلك حتّى يزول الليل، فإذا أزال الليل قام يصلّي الصبح، ثمّ يذكر في القبلة حتّى يصلّي المغرب، ثمّ يصلّي ما بين المغرب والعتمة، فكان هذا دأبه، فكانت أخت السندي إذا نظرت إليه قالت: خاب قوم تعرّضوا لهذا الرجل، وكان عبداً صالحاً^(١).



امراة من آل بكر بن وائل

كانت هذه المرأة مع زوجها في واقعة الطف ، وزوجها هذا من أتباع ابن سعد ، فلما نظرت إلى بنات رسول الله ﷺ يسلبن ويؤخذ ما عليهن من أحمره وأسورة حتّى أن الرجل يسوق النساء بكعب رمحه وهنّ يلذن بعضهنّ ببعض . صاحت هذه المرأة البكرية : يا آل بكر بن وائل ، أتسلب بنات رسول الله ، لا حكم إلّا الله ، يا لثارات رسول الله ، فردّها زوجها إلى رحله^(١) .



(١) راجع مقتل الحسين عليه السلام - السيّد عبدالرزاق المقرّم : ٣٠١ . اللهوف : ٧٤ . مثير الأحزان :

الحارث بن امرئ القيس الكندي

خرج في عسكر ابن سعد لحرب الحسين عليه السلام ، فلما أتى كربلاء وردوا على الحسين عليه السلام شروطه وحصلوه ، مال إليه وانضم إلى أصحابه الكنديين ، وهم أربعة نفر ، فقتلوا مع الحسين عليه السلام رضوان الله عليه بعد أن تحوّل إلى الحقّ وخلد خلود المتحرّرين من ظلمات الغواية إلى نور الهداية^(١).



الحرّ بن يزيد الرياحي

لَمَّا سَمِعَ الْحَرَّ بْنَ يَزِيدَ كَلَامَهُ وَاسْتَغَاثَهُ - أَيُّ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَقْبَلَ عَلَى عَمْرِ بْنِ سَعْدٍ وَقَالَ لَهُ : أَمَقَاتِلُ أَنْتَ هَذَا الرَّجُلَ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ ، قِتَالًا أَيْسَرُهُ أَنْ تَسْقُطَ فِيهِ الرُّؤُوسُ ، وَتَطِيحَ الْأَيْدِي ، قَالَ : مَا لَكُمْ فِيمَا عَرَضَهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخِصَالِ ؟ فَقَالَ : لَوْ كَانَ الْأَمْرُ إِلَيَّ لَقَبَلْتُ ، وَلَكِنْ أَمِيرُكَ أَبِي ذَلِكَ ، فَتَرَكَهُ وَوَقَفَ مَعَ النَّاسِ ، وَكَانَ إِلَى جَانِبِهِ قُرَّةُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ لِقُرَّةَ : هَلْ سَقَيْتَ فَرَسَكَ الْيَوْمَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَهَلْ تَرِيدُ أَنْ تَسْقِيَهُ ؟ فَظَنَّ قُرَّةَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يَرِيدُ الْإِعْتِزَالَ وَيَكْرَهُ أَنْ يَشَاهِدَهُ فَتَرَكَهُ ، فَأَخَذَ الْحَرَّ يَدْنُو مِنَ الْحُسَيْنِ قَلِيلًا ، فَقَالَ لَهُ الْمُهَاجِرُ بْنُ أَوْسٍ : أَتَرِيدُ أَنْ تَحْمَلَ ؟ فَسَكَتَ وَأَخَذَتْهُ الرَّعْدَةُ ، فَارْتَابَ الْمُهَاجِرُ مِنْ هَذَا الْحَالِ وَقَالَ لَهُ : لَوْ قِيلَ لِي : مَنْ أَشْجَعَ أَهْلَ الْكُوفَةِ ؟ لَمَّا عَدَوْتُكَ ، فَمَا هَذَا الَّذِي أَرَاهُ مِنْكَ ؟ فَقَالَ الْحَرَّ : إِنِّي أُخَيِّرُ نَفْسِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَاللَّهِ لَا اخْتَارَ عَلَى الْجَنَّةِ شَيْئًا وَلَوْ أُحْرِقْتُ ، ثُمَّ ضَرَبَ جَوَادَهُ نَحْوَ الْحُسَيْنِ مِنْكَسًّا رَمَحَهُ ، قَالِبًا تَرَسَهُ ، وَقَدْ طَاطَأَ بِرَأْسِهِ حَيَاءً مِنْ آلِ الرَّسُولِ بِمَا أَتَى إِلَيْهِمْ وَجَعَجَعَ بِهِمْ فِي هَذَا الْمَكَانِ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ وَلَا كَلَأٍ رَافِعًا صَوْتَهُ :

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أُنِيبُ ، فَتُبْ عَلَيَّ ، فَقَدْ أَرَعَبْتُ قُلُوبَ أَوْلِيَائِكَ وَأَوْلَادَ نَبِيِّكَ .
يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، إِنِّي تَائِبٌ ، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ ؟
فَقَالَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : نَعَمْ ، يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، فَسِّرْهُ قَوْلَهُ ، وَتَيَقَّنْ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ ،

والنعيم الدائم ، ووضح له قول الهاتف لما خرج من الكوفة ، فحدث الحسين عليه السلام بحديث قال فيه : لما خرجت من الكوفة نوديت : أبشر يا حرّ بالجنة ، فقلت : ويلّ للحرّ يبشر بالجنة وهو يسير إلى حرب ابن بنت رسول الله . فقال له الحسين عليه السلام : لقد أصبت خيراً وأجرأ ، وكان معه غلام تركي ^(١) .



خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي

قال العلامة الطباطبائي رحمته الله : إنه نجيب بني أمية ، وأنه من السابقين الأولين المتمسكين بولاء أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان سبب إسلامه أنه رأى نارا موجهة يريد أبوه أن يلقيه فيها ، إذا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد جذبته إلى نفسه وخلصه من تلك النار ، فلما استيقظ وعرف صدق رؤياه خرج إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليعرض عليه إسلامه ، فلقى أبو بكر وقص عليه الرؤيا ، فأقبل معه أبو بكر حتى أتيا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأسلما . ثم إن أباه سعيد بن العاص بن أمية لما سمع بإسلامه أخرجه من داره ، وأمر بنيه أن لا يكلموه ولا يجالسوه ، فكان خالد يصبح عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويمسي عنده ، حتى هاجر المسلمون إلى الحبشة ، فهاجر معهم هاربا من أبيه ، ومعه امرأته أميمة الخزاعية ، فولدت بأرض الحبشة سعيداً وابنة له ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتب إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام ويخطب له أم حبيبة بنت أبي سفيان ، ويأمره أن يحمل جعفر وأصحابه ويبعث به إليه ، فأسلم النجاشي ، وأمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وزوجه أم حبيبة وأصدقها أربعمئة دينار ، وكان خالد هو الذي تولّى التزويج ، وأمر جعفر وأصحابه - وفيهم خالد بن سعيد بن العاص - فوجههم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما قدموا المدينة وجدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خيبر ، فشكلوا إليه ، فوجدوه قد فتح خيبر ، فكتب تلك غزوة لهم ، وأسهموا في الغنيمة ، وشهد خالد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم الفتح وحنين والطائف وتبوك ، ثم ولّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدقات اليمن ، فكان

في عمله ذلك حتى بلغه وفاة رسول الله ﷺ، فترك ما في يده وأتى المدينة ولزم علياً عليه السلام^(١).

وروي أنه أول من قام إلى أبي بكر يوم الجمعة، قال -بعد أن حمد الله وأثنى عليه-: يا أبا بكر، اتق الله، وانظر ما تقدم لعلي بن أبي طالب عليه السلام. أنا علمت أن رسول الله ﷺ قال لنا ونحن محدقون به وأنت معنا في غزاة بني قريضة، وقد قتل علي عليه السلام عدة من صناديد رجالهم وأولي البأس والنجدة منهم: «يا معاشر المهاجرين والأنصار، إني موصيكم بوصية فاحفظوها عني، ومودعكم أمراً فاحفظوه؛ ألا إن علي بن أبي طالب عليه السلام أميركم من بعدي، وخليفتي فيكم، وبذلك أوصاني ربي، ألا وأنكم إن لم تحفظوا فيه وصيتي وتوازروه وتنصروه، اختلفتم في أحكامكم، واضطرب عليكم أمر دينكم، ووليكم أشراركم، ألا وإن أهل بيتي هم الوارثون لأمري، والعالمون لأمر أمتي من بعدي. اللهم، من أطاعهم من أمتي، وحفظ فيهم وصيتي، فاحشرهم في زمرتي، واجعل لهم نصيباً من مرافقتي يدركون به نور الآخرة. اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فاحرمه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض.

فقال له عمر بن الخطاب: اسكت يا خالد، فلست من أهل المشورة، ولا ممن يقتدى برأيه^(٢). فقال له خالد: بل اسكت أنت يا ابن الخطاب، فإنك تنطق على

(١) تنقيح المقال ١: ٣٩٠.

(٢) عجباً لعمر كيف ينكر فضل خالد وحسبه وهو أول من أسلم وهاجر الهجرتين، ولا يخفى على عمر، وعلى غيره، مكانة خالد القرشية، فهو أموي قرشي يتقدم في حسبه ونسبه على عمر بن الخطاب، وقد سبقه إلى الإسلام، فلماذا يتنكر عمر لخالد وهو من قد عرفوه منزلة عند رسول الله ﷺ وقرباً إليه، ومن الذي يؤخذ رأيه إذا تعدى ابن الخطاب خالد وأمثاله؟ واستمر حجة خالد وإفلاس عمر بعد حين.

لسان غيرك ، وأيم الله ، لقد علمت قريش أنك من الأمها حسباً ، وأدناها منصباً ، وأخسها قدراً ، وأحملها ذكراً ، وأقلهم عناءً ، عن الله ورسوله ، وأنتك الجبان في الحروب ، بخيل بالمال ، لثيم العنصر ، ما لك في قريش من فخر ، ولا في الحروب من ذكر ، وأنتك في هذا الأمر بمنزلة الشيطان ﴿ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ * فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿ ١ ﴾ ، فأبلس عمر وجلس خالد بن سعيد (٢) .

قال اليعقوبي في تاريخه : ومالوا مع علي بن أبي طالب منهم : العباس بن عبدالمطلب ، والفضل بن العباس ، والزبير بن العوام ، وخالد بن سعيد بن العاص ... (٣) .

قال أبان بن تغلب : قلت لأبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : جعلت فداك ، هل كان أحد في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنكر على أبي بكر فعله وجلوسه مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

قال : نعم كان الذي أنكر على أبي بكر اثنا عشر رجلاً من المهاجرين : خالد بن سعيد بن العاص ، وكان من بني أمية ، وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وبريدة الأسلمي ، ومن الأنصار : أبو الهيثم بين التيهان وسهل وعثمان ابنا حنيف وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وأبي بن كعب وأبو أيوب الأنصاري (٤) .

(١) سورة الحشر : الآيتان ١٦ و ١٧ .

(٢) الاحتجاج - الطبرسي ١ : ٧٦ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٩ .

(٤) الاحتجاج : ٧٥ .

خالد بن سعيد أسبق إسلاماً من أبي بكر خلاف ما يُدعى ويُثار:

على أننا نودّ التنويه إلى أن إسلام خالد بن سعيد بن العاص كان أسبق من إسلام أبي بكر، حسب الرواية المتقدمة، وهذا يعني أن خالداً له فضيلة السبق في الإسلام، ولم يكن لأبي بكر ذلك، فإخبار خالد بعزمه على الإسلام وذهابه إلى رسول الله ﷺ يقتضي أن يكون خالد قد آمن في قلبه قبل أبي بكر، وهذا يعني سبق إسلامه، فإن الإيمان هو عقد القلب على شيء، وهو مرتبة متقدمة على لفظ الشهادتين، بل الشهادتين لفظهما لا يعنيان إيمان المرء بقدر ما هي حقن دمه وإمكانية تعامله مع المسلمين والتعامل معه ظاهراً.

على أن خالداً هذا أسلم قبل أبي بكر فعلاً، كما ذكر ذلك الحاكم النيسابوري في مستدركه، قال:

أخبرني أبو نعيم محمد بن عبد الرحمن الغفاري بمرو، ثنا عبدان بن محمد بن عيسى الحافظ: سمعت عبد الله بن مسلم يذكر عن أبي اليقظان وغيره: أن خالد بن سعيد بن العاص أسلم قبل أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما) ^(١).

والحق أن هذه الرواية الرواية تثبت مكرمة السبق لخالد دون أبي بكر، وهي آخر ورقة يتداولها بعضهم عند تقديم أبي بكر على غيره من الصحابة، وكونه أسبق الناس إسلاماً، بل يفتعلون ضجةً وصخباً مثيراً حينما يختلقون نزاعاً عن أيهما أسبق للإسلام، وأول من أسلم علي بن أبي طالب أم أبي بكر، والظاهر أن مكرمة السبق للإسلام قد افتعلت من ذي قبل تأييداً لخط سياسي وتعصب يخالف الواقع.

(١) المستدرک علی الصحیحین - الحاكم النيسابوري ٣: ٢٧٨ - كتاب معرفة الصحابة.

رسول قيصر ملك الروم إلى يزيد بن معاوية

روى الخوارزمي في مقتله بسنده عن علي بن الحسين عليه السلام : لما أتني برأس الحسين إلى يزيد كان يتخذ مجالس الشرب ، ويأتي برأس الحسين فيضعه بين يديه ويشرب عليه ، فحضر ذات يوم أحد مجالسه رسول ملك الروم ، وكان من أشرف الروم وعظمائها ، فقال : يا ملك العرب ، رأس من هذا ؟ فقال له يزيد : ما لك ولهذا الرأس ؟ قال : إني إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كل شيء رأيته ، فأحببت أن أخبره بقصة هذا الرأس وصاحبه ، ليشاركك في الفرح والسرور .

فقال يزيد : هذا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب ، فقال : ومن أمه ؟ قال : فاطمة الزهراء ، قال : بنت من ؟ قال : بنت رسول الله ، فقال الرسول : أف لك ولدينك ! ما دين أحسن من دينك ، اعلم أنني من أحفاد داود ، وبينني وبينه آباء كثيرة ، والنصارى يعظموني ، ويأخذون التراب من تحت قدمي تبركاً ؛ لأنني من أحفاد داود ، وأنتم تقتلون ابن بنت رسول الله ، وما بينه وبين رسول الله إلا أم واحدة ، فأين دين هذا ؟

ثم قال له الرسول : يا يزيد ، هل سمعت بحديث كنيسة الحافر ؟ فقال يزيد : قل حتى أسمع ، فقال : إن بين عمان والصين بحراً مسيرته سنة ليس فيه عمران إلا بلدة واحدة وسط الماء ، طولها ثمانون فرسخاً ، وعرضها كذلك ، وما على وجه الأرض بلدة أكبر منها ، ومنها يحمل الكافور والياقوت والعنبر ، وأبخارهم

العود، وهي في أيدي النصارى لا ملك لأحد فيها من الملوك، وفي تلك البلدة كنائس كثيرة، أعظمها كنيسة الحافر، في محرابها حقة من ذهب، معلقة فيها حافر يقولون: إنه حافر حمار كان يركبه عيسى، وقد زينت حوالي الحقة بالذهب والجواهر والديباج والابريسم. وفي كل عام يقصدها عالم من النصارى، فيطوفون حول الحقة ويزورونها ويقبلونها، ويرفقون حوائجهم إلى الله ببركتها، هذا شأنهم ودأبهم بحفار حمار يزعمون أنه حمار كان يركبه عيسى نبيهم. وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم، لا بارك الله فيكم ولا في دينكم، فقال يزيد لأصحابه: اقتلوا هذا النصراني فإنه يفضحنا إن رجع إلى بلاده ويشنع علينا، فلما أحس النصراني بالقتل قال: يا يزيد، أتريد قتلي؟ قال: نعم. قال: فاعلم أنني رأيت البارحة نبيكم في منامي وهو يقول لي: يا نصراني، أنت من أهل الجنة، فعجبت من كلامه حتى نالني هذا، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ثم أخذ الرأس وضمه إليه وجعل يبكي حتى قتل.

وروى مجد الأئمة السرخسي عن أبي عبدالله الحّدّاد: أن النصراني اختلط سيفاً وحمل على يزيد ليضربه، فمال الخدم بينهما، وقتلوه وهو يقول: الشهادة الشهادة^(١).

وفي مقتل العوالم ومثير الأحزان كما عن السيّد المقرّم في مقتله: أن الرأس الشريف بعد مقتل رسول ملك الروم سمعه أهل المجلس يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله^(٢).



(١) مقتل الخوارزمي ٢: ٨٠.

(٢) مقتل المقرّم ٣٥٥.

زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور

(زوجة الرشيد)

أمّ محمّد الأمين. قال الصدوق في المجالس: أنّها كانت من الشيعة، فلمّا عرفها أنّها منهم حلف بطلاقها. وقال ابن خلّكان: لها معروف كثير، وفعل خير، وقصّتها في حجّها وما اعتمرته في طريقها مشهورة، فلا حاجة إلى شرحها. قال ابن الجوزي في كتاب الألقاب: أنّها سقت أهل مكّة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار، وأنّها أسالت الماء عشرة أميال بحطّ الجبال، ونحّت الصخور حتّى غلغلت من الحلّ إلى الحرم، وعملت قبة البستان، فقال لها وكيلها: يلزمك نفقة كثيرة، فقالت: اعملها ولو كانت ضربة فاس بدينار، وأنّه كان لها مائة جارية يحفظن القرآن، ولكلّ ورد عشر القرآن، وكان يسمع في قصرها كدويّ النحل من قراءة القرآن، وأنّ اسمها أمة العزيز، ولقبها جدّها أبو جعفر المنصور زبيدة لبضاظتها ونضارتها. قال الطبري في تاريخه: أعرس بها الرشيد في سنة خمس وستّين ومائة، وكانت وفاتها سنة ستّ عشر ومائتين في جمادى الأولى ببغداد^(١).

(١) تنقيح المقال ٣: ٧٨. وراجع: تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٧٨، في حجّ زبيدة سنة ١٩٠هـ، والروضة الفحاء في أخبار النساء: ٣٥٤.

وترجمها ابن كثير بقوله : وكان لها من الجمال والمال والخير والديانة والصدقة والبر شيء كبير.. ثم ذكر كلام ابن خلّكان فيها^(١).

وفي المنتظم : قال ابن الجوزي :... وكانت معروفة بالخير والأنفال على العلماء والفقراء ، ولها آثار كثيرة طريق مكة والمدينة والحرمين ، وسافت الماء من أميال حتّى غلغلته بين الحلّ والحرم^(٢).

وهذا يدلّ على تنسّكها وورعها ، فلم ينقل عنها لهو ولا عبث ، بل نقل عنها عقل وأدب ، والظاهر أنّ ارتباطها الخفيّ مع أئمة أهل البيت عليهم السلام لا يقوى على المؤرّخين التعاطي معه كونه من أهمّ الأمور التي تقوّض أسس الدعاوى السياسيّة لنظام العباسيّين ، ومن تقدّمهم ، على أهل البيت عليهم السلام ، بل محاولة تصفيتهم وإبعادهم عن ممارسة الحياة العامّة ، فتشيع زبيدة علامةً فارقة في رواج مذهب أهل البيت عليهم السلام ، حتّى إنّ إمامتهم اخترقت أسوار بلاط النظام ، ممّا أفزع النظام وحاول تصفية الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وقت ذاك ، وما المحاولات الجائرة في سجن الإمام عليه السلام من قبل النظام إلّا معرفة النظام من اقتحام فكر أهل البيت عليهم السلام وتهديده الحقيقي لوجود النظام وكيانه ، ليغزوهم في عُقر دورهم ، وليهتك حجب تزوير الحقائق وبطلان الدعاوى التي تشبّث بها النظام منذ توليته السياسيّة لأُمور الأُمّة ، وفرض الطاعة عليها ، واستبعاد أئمة آل البيت عليهم السلام عنها .

على أنّ الزبير بن بكار يكشف طرفاً خفياً لما كانت عليه علاقة التوتّر وعدم الودّ بين الرشيد وزبيدة ، فالرشيد يصوّر هذا التباعد بلحاظ آخر لثلاث تتسع رقعة الخلاف في نظر الآخرين ، أو تتسرّب أخبار هذه العلاقة المتوتّرة التي نوّه عنها

(١) البداية والنهاية - ابن كثير ١٠ : ٢٧١ .

(٢) المنتظم - ابن الجوزي ١٠ : ٢٧٦ .

الصدوق بقوله: «كانت من الشيعة، فلما عرفها أنها منهم حلف بطلاقها»، فحديث هارون الذي ينقله الزبير بن بكار يُشعر ذلك. قال الرشيد: وكنت أهاب الجلوس على فراشها مع جليل موقعها من قلبي إعظاماً لها^(١). ولا تعني هذه الحالة علاقة طبيعّية لزوجين بقدر ما تكشف عن علاقة متوترة تختبأ تحتها إشارات من الاختلاف التي من شأنها أن تُبعد بين الزوجين، ولكيلا يفتضح أمر هذه العلاقة غير الطبيعّية، يحاول البلاط التمويه على ذلك التشجّج الخفي الذي يسود جوّ بيت الخلافة العبّاسيّة، وإذا كانت هيبة زبيدة تمنع الرشيد من الجلوس على فراشها، فإنّ صاحب الروضة الفيحاء في أخبار النساء يبالغ في عبثيّة زبيدة، حتّى إنّها تروي أنّ الرشيد أمرها أن تطوف القصر مجرّدة عن ثيابها وهي تسير عريانة^(٢). فكيف يمكن التوفيق بين مبالغات الروضة الفيحاء وبين رواية الزبير بن بكار من هيبتها وإعظامها لدى الرشيد؟!

مما يعني أنّ روايات اللهو التي حاولت أن تلتصق بزبيدة متهافنة لا تقوى على الصمود أمام واقع الحال، وهذا يؤكّد لنا أنّ هناك قضية تهدّد هذه العلاقة لولا خوف الرشيد من أن يفتضح أمر سبب الخلاف -وهو تشيّع زبيدة- لأنّ ذلك أبلغ في إدانة النظام، وإعطاء فرصة أكبر لفكر أهل البيت عليه السلام أنيسري بين أوساط النّاس، وقد سرى في دهاeliz القصر العبّاسي، وغزا قلوب حرمه. هذا وكون الرشيد يخشى في الوقت نفسه من إثارة حفيظة العبّاسيّين عند نشوب نزاع ظاهر بينه وبين زبيدة، كونها أكرم عبّاسيّة لها مكانتها وخطرها في نظر البيت العبّاسي جميعاً، ممّا جعل الرشيد يتحاشى إظهار هذا النزاع، ويحرص على أن تأخذ

(١) الموقّعات - الزبير بن بكار: ٥١٢.

(٢) الروضة الفيحاء: ٣٥٤.

علاقته بزبيدة طابعها التشريفي الذي يضمن للخليفة حياة ظاهرية مستقرة.

ولعلّ تشييع زبيدة يأخذ أكثر من ذلك في أبعاده وأثره على الفكر الشيعي إذا علمنا أنها إحدى النساء اللّاتي يخرجن في جيش الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، ففي رواية مفصّل بن عمر، قال: سمعت أبا عبدالله يقول: يكن مع القائم ثلاثة عشر امرأه، قلت: وما يصنع بهنّ؟ قال: يداوين الجرحى، ويقمن على المرضى، كما كان مع رسول الله ﷺ، قلت: فسمهنّ لي؟ قال: القنوا بنت رُشيد، وأمّ أيمن، وحَبّابة الوالبيّة، وسميّة أمّ عمار بن ياسر، وزبيدة، وأمّ خالد الأحمسيّة، وأمّ سعيد الحنفيّة، وصبانة الماشطة، وأمّ خالد الجهنّيّة^(١).

ولا نعهد (زبيدة) سوى زبيدة زوجة هارون الرشيد ممّا يؤكّد حقيقة تشييعها واعتناقها لمذهب أهل البيت عليه السلام.

على أنّنا نودّ التنويه لأمر مهم، فإنّ تشييع زبيدة لم يكدّ يتداول في مصادر الفريقين عدا ما سمعته من الشيخ الصدوق صراحةً، وما نستشفّه من بعضهم في ذكرهم لقرائن تدلّ عليها وتقواها. والحقيقة أنّ مثل هذه المسألة المثيرة لا يمكنها أن تأخذ مكانها في الكتب التاريخيّة لأسباب عدّة:

أولاً: أنّ القضية نالت من الكتمان ما لم يسع المؤرّخ إلى متابعة الحدث بشكل واضح، فإنّ التسترّ على مثل هذه الأمور الخطيرة، وحرص النظام على عدم إظهارها وتفشيها بين العامّة، وأنّ تعلم أنّ إيمان آسيا بنت مزاحم، ومخالفتها لزوجها لم يكن معروفاً، حتّى أثاره القرآن الكريم ونوّه عنه، ومع هذا لم تجد لذلك ذكراً في الموسوعات التاريخيّة، ولم يتناولها الرواة، ولولا ذكر القرآن لها

لم تصل الحادثة إلينا ولم نكد نعلم بها. وهكذا هي قضية تشييع زبيدة، فإنّ النظام حريص على إخفاء الحادثة، وعدم التعاطي معها بأي شكلٍ من الأشكال، ومن يدري، فلعلّ تصفياتٍ حدثت على يد النظام لمن علِمَ بالأمر، أو حاول أن يبوّح به.

ثانياً: أنّ مثل هذه الحادثة لا يمكن للمؤرّخ أن يتعاطى معها بشكل طبيعي خوفاً من النظام أن تطاله عقوبته، إذا ما عرفنا أنّ الكتابات التاريخية انتعشت إبان الدولة العباسية، ولعلّ النظام العباسي ساهم كثيراً في إخفاء مثل هذه الحادثة.

ثالثاً: أنّ المؤرّخ لم يكّد يتعامل مع الحادثة كون ذلك يرتبط بتصميم عقيدته، إذا ما عرفنا أنّ المؤرّخين أغلبهم يتجهجون مذهب النظام، وليس مذهب أهل البيت (عليه السلام) عدا اليعقوبي المؤرّخ الشيعي، فهو كان يعيش في ظلّ الدولة العباسية، فمتى يُتاح له التعاطي مع هذه القضية وأمثالها.

رابعاً: أنّ مسألة تشييع زبيدة لم يكّد يستوعبها المؤرّخ، وهو وإن مرّت عليه قراءة هذه الحادثة أو سماعها، إلّا أنّ حياة البلاط العباسي لا يسعه أن تحدث لديه مثل هذه الحالة؛ وذلك لما عُرف عن نساء البلاط من اللهو والعبث، هكذا كانت تركز هذه الحالة في ذهنيّة المؤرّخ ممّا يدفعه إلى عدم تصديق ذلك، أو أنّ النظرة العامة لا يسعها أن تستوعب مثل ذلك، ممّا يجعل المؤرّخ حريص على تجنّب مثل هذه الإثارات التي تتّهمه بالغفلة من لدن العامة، أو بالمخالفة المذهبية من قبل الأنظمة السياسية المتعاقبة.

من هنا يمكننا إثبات تشييع زبيدة، وعدّها من شيعة الإمام (عليه السلام)، لنقرأ بذلك مقطعاً تاريخياً من علاقة النظام بأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وسبب قلقهم وذعرهم

من أئمة آل البيت عليه السلام ، وقد عرفت أنّ فكرهم عليه السلام يخرق أسوار البلاط ،
وما للانتماء المعرفي من أهمية في نكران الذات ، والتخلي عن مترفات الحياة
إلى سوح الجهاد والتضحية مهما كانت النتائج .



زهير بن سليم الأزدي

كان مع ابن سعد في كربلاء ، فلمّا رأى تصميم القوم على قتال الحسين عليه السلام انضمّ إليه ، وكان من أصحابه ^(١) ، وقُتل في الحملة الأولى - كما عدّه ابن شهر آشوب ^(٢) - فنال شرف الشهادة وشرف التسليم عليه من قبل الإمام عجل الله فرجه الشريف في زيارة الناحية المقدّسة .



(١) راجع إِبصار العين : ١٤٣ .

(٢) المناقب ٤ : ١٢٢ .

زهير بن القين

كان عثماني النزعة ، وليس له هوى في الحسين عليه السلام ، وكان قد حجّ سنة ستين في أهله ، ثم عاد من الحجّ ، فوافق الحسين عليه السلام في الطريق ، فأرسل عليه السلام خلفه ، فتماهل فلامته زوجته دلهم بنت عمرو على ذلك ، فمضى إليه عليه السلام ، فما لبث أن صار علويّاً مستبشراً وقد اصفرّ وجهه ، فأمر بفسطاطه وثقله فقوّض ، وحُمِلَ إلى الحسين عليه السلام ، فطلّق زوجته وأمرها بالحقوق إلى أهلها ، ولازم الحسين عليه السلام ، وجعل يُقاتل يوم الطّف قتالاً شديداً لم ير مثله إلى أن نال الشهادة ، وقد زاد شرف الشهادة بشرف تسليم الحجّة المنتظر عجل الله فرجه الشريف عليه في زيارة الناحية المقدّسة بقوله عليه السلام : السلام على زهير بن القين البجلي القائل للحسين عليه السلام وقد أذن له بالانصراف : لا والله ! لا يكون ذلك أبداً ، أترك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أسيراً في يد الأعداء وأنجو ، لا أراني الله ذلك اليوم^(١).



سعد الأموي

(الملقب بسعد الخير)

لم يعنونه أصحابنا الرجاليون ، والمستفاد من عدة من الأخبار جلالة قدره ، وعظم منزلته عند أبي جعفر عليه السلام ، فقد روى الشيخ المفيد رضوان الله عليه في كتاب الاختصاص بإسناده عن أبي حمزة الثمالي ، قال : دخل سعد - وكان أبو جعفر عليه السلام يسميه سعد الخير ، وهو من ولد عبدالعزیز بن مروان - على أبي جعفر عليه السلام ، فبينا ينشج كما تنشج النساء فقال له أبو جعفر عليه السلام : ما يبكيك يا سعد ؟! قال : وكيف لأبكي وأنا من الشجرة الملعونة في القرآن ، فقال عليه السلام : لست منهم ، أنت منا أهل البيت ، أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ ^(١) ، وقد كتب إليه أبو جعفر عليه السلام رسالتين طويلتين متضمنتين لمواعظ بليغة كاشفتين عن موقعه ومنزلته عند أبي جعفر عليه السلام . روى إحدى الرسالتين الكليني في الكافي عن إسماعيل بن بزيع ، عن عمه حمزة بن بزيع ، قال : كتب أبو جعفر عليه السلام إلى سعد الخير :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد : فقد جاثني كتابك تذكر فيه معرفة ما لا ينبغي ، وطاعة من رضي الله

(١) سورة إبراهيم : الآية ٣٦ .

رضاه ، فقبلتُ من ذلك لنفسك ما كانت نفسك مرتهنة لو تركته ، فعجب أن رضاه الله وطاعته ونصيحته لا تقبل ولا توجد ولا تعرف إلا في عباد غرباء أخلاء من الناس قد اتخذهم الناس سخرياً لما يرمونهم به من المنكرات ، وكان يقال لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون أبغض إلى الناس من جيفة الحمار ، ولولا أن يصيبك من بلاء مثل الذي أصابنا فتجعل فتنة الناس كعذاب الله ، وأعيذك بالله وإيانا من ذلك لقربت على بعد منزلتك .

واعلم رحمك الله أنه لا تنال محبة الله إلا ببغض كثير من الناس ، ولا ولايته إلا بمعاداتهم ، وفوت ذلك قليل يسير لدرك ذلك من الله لقوم يعلمون .

يا أخي ، إن الله عز وجل جعل في كل من الرسل بقايا أهل العلم يهدون من ضلّ إلى الهدى ، ويصيرون معهم على الأذى ، يجيبون داعي الله ، يدعون إلى الله ، فانصرهم رحمك الله ، فإنهم في منزلة رفيعة ، وإن أصابتهم في الدنيا وضیعة ، أنهم يجيبون بكتاب الله الموتى ، ويبصرون بنور الله من العمى ، كم من قتل لـإبليس قد أحيوه ، وكم من من تايه ضالّ قد هدوه ، يبذلون دمائهم دون هلكة العباد ، وما أحسن أثرهم على العباد ، وأقبح آثار العباد عليهم .

قال المامقاني : إن ترحمه ﷺ عليه في موضعين يدلّ على جلالته ، وقوة ديانته ، ووفور تقواه ، بل خطابه ﷺ بقوله : « يا أخي » يدلّ على عظيم قدره عنده ؛ لأنه لا يكون أخاه ﷺ إلا إذا التزم بأعلى درجات التقوى والإيمان ، ولا داعي له ﷺ إلى المجاز ، ولا يحتمل فيه التقية لاشتماله على التعريض بالقدح على العامة .. وكيف كان ففي هذه الأخبار دلالة على كون الرجل إمامياً مؤمناً متّقياً جليلاً^(١) .

سعد بن الحرث الأنصاري

كان رأيُه رأي الخوارج ، خرج مع ابن سعد إلى حرب الحسين عليه السلام ، فلمّا سمع استنصاره وصراخ النساء والأطفال لسماع استنصاره نالته الهداية الأبديّة وتوفيق السعادة ، فقال هو وأخوه أبو الحتوف : إنّنا نقول لا حكم إلّا الله ، ولا طاعة لمن عصاه ، وهذا الحسين بن بنت نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله ونحن نرجو شفاعة جدّه يوم القيامة ، فكيف تقاتله وهو بهذا الحال ، نراه لا ناصر له ولا معين ، فمال هو وأخوه أبو الحتوف بسيفهما بين يدي الحسين عليه السلام على أعدائه ، وجعللا يقاتلان قريباً منه حتّى قتلا جمعاً ، وجرحا آخرين ، ثمّ قتلا معاً فتي مكان واحد رضوان الله عليهما^(١).



سلمان بن مضارب

ابن عمّ زهير بن القين ، وكان على عقيدته -أي عثمانيّاً- ، فعدِل مع زهير إلى الحسين عليه السلام ، ونال شرف الشهادة ومرتبة الخلود بعد أن تحرّر ووعى الحقّ وناصره ^(١).



عبدالرحمن بن الحكم بن أبي العاص

(أخو مروان بن الحكم)

روى الخوارزمي في مقتله أنَّ عبدالرحمن بن الحكم أخو مروان لمَّا نظر رأس الحسين عليه السلام أنشد في محضر يزيد بن معاوية :

لهام بجنب الطفِّ أدنى قرابةً من ابن زياد العبد ذي النسب الوغلِ
سميةً أمسى نسلها عدد الحصى وبنت رسول الله ليست بذئ نسلِ

وروي : أن يزيد نظر إلى عبدالرحمن وقال : سبحان الله ! أفي هذا الموضع تقول ذلك ، أما يسعك السكوت ؟^(١)

روى أبو الفرج الإصفهاني : أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبدالله بن أبي سعيد ، قال : حدَّثنا عليُّ بن الصباح ، عن ابن الكلبي ، عن أبيه ، قال : كان عبدالرحمن بن الحكم بن أبي العاص عند يزيد بن معاوية ، وقد بعث إليه عبيدالله بن زياد برأس الحسين بن عليٍّ عليه السلام ، فلمَّا وضع بين يدي يزيد في الطشت بكى عبدالرحمن ، ثمَّ قال :

أبلغ أمير المؤمنين فلا تكن كموتِرِ أقواسٍ وليس لها نبل

لهام بجنب الطفّ أدنى قرابةً من ابن زياد الوغد للحسب الرذل
سميئةً أمسى نسلها عدد الحصى وابت رسول الله ليس لها نسل
فصاح به يزيد : اسكت يا بن الحمقاء ، ما أنت وهذا^(١).

وروى أبو الفرج الإصفهاني بسنده إلى عمرو بن سعيد عن أبي مليكة ، قال :
رأيتم - بني أمية - يتتابعون نحو ابن عباس حيث نفى ابن الزبير بني أمية عن
الحجاز ، فذهبت معهم وأنا غلام ، فلقينا رجلاً خارجاً من عنده ، فدخلنا عليه
فقال له : عبيد بن عمير ، ما لي أراك تذرف عيناك ؟ فقال له : أن هذا - يعني
عبدالرحمن بن الحكم - قال بيتاً أبكاني وهو :

وما كنت أخشى أن ترى الذلّ نسوتي وعبد منافٍ لم تغلها الغوائل
وروى الإصفهاني بسنده إلى الهيثم بن عدي :

قال لما ادّعى معاوية زياداً قال عبدالرحمن بن الحكم في ذلك والناس
ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه إلى زياد وذلك غلط ، قال :

ألا أبلغ معاوية بن حربٍ مغلفة من الرجل الهجانِ
أتغضب أن يقال أبوك عَفٌّ وترضى أن يقال أبوك زانِ
فاشهد أن رحمك من زيادٍ كرحم الفيل من ولد الاتانِ
وأشهد أنها ولدت زياداً وصخر من سميّة غير دانِ

فبلغ ذلك معاوية بن حرب ، فحلف أن لا يرضى عن عبدالرحمن حتّى يرضى
عنه زياد. فخرج عبدالرحمن إلى زياد ، فلمّا دخل عليه قال له : إيه
يا عبدالرحمن ، أنت القائل : «ألا أبلغ...» ؟

قال : لا يا أيها الأمير ما هكذا قلت ، ولكني قلت :

ألا من مبلغ عني زياداً	مغلقة من الرجل الهجان
من ابن القرم قرم بني قصي	أبي العاص ابن أمنة الحصان
حلفت برب مكة والمصلّى	وبالتوراة أحلف والقرآن
لأنت زيادة في آل حرب	أحب إلي من وسطى بنان
سررت بقربه وفرحت لما	أتاني الله منه بالبيان
وقلت له أخو ثقة وعم	بعون الله في هذا الزمان
كذلك أراك والأهواء شتى	فما أدري بغيب ما تراني

فرضي عنه زياد ، وكتب له بذلك إلى معاوية ، فلما دخل عليه بالكتاب قال :
أنشدني ما قلت لزياد ، فأنشده فتبسّم ، ثم قال : قَبِّحَ اللهُ زياداً ما أجعله ، والله لما
قلت له أخيراً حيث تقول : «لأنت زيادة في آل حرب...» شرّ من القول الأول ،
ولكنك خدعته ، فجازت خديعتك عليه^(١).

فمواقف عبدالرحمن بن الحكم بن أبي العاص المعارضة لآل حرب تنم عن
توجّهات فكرية ومبادئ عقائدية تُعبّر عن ولائه لآل البيت عليهم السلام ، ولا يُعقل أن تكون
مشاريع عبدالرحمن بن الحكم الأدبية مقتصرة على ذلك ، فلعل السياسة أخفت
ذلك وكتمت صوت عبدالرحمن بن الحكم كما هو شأنها في كتم الأصوات
المعارضة الأخرى ، خصوصاً أن عبدالرحمن يُعدُّ انحذاراً أموياً ووراثَةً مروانية
تحملُ عداثتها التقليدي لآل البيت عليهم السلام ، إلا أن توجّهات عبدالرحمن المخالفة
لتقليدية أسلافه فرضت نفسها على الواقع الأموي ، ومن ثمّ المرواني ليُعدّ
معارضة فكرية أكثر من كونها معارضة سياسية.

عبدالله بن بشر الخثعمي

كان ممّن خرج مع عمر بن سعد إلى كربلاء ، فتحوّل إلى آل الله بعد أن شملته الهداية الإلهيّة ، فاستمع إلى الحقّ ، وتحرّر من قيود العبوديّة إلى رحاب الخلود ، انضمّ إلى الحسين عليه السلام قبل حربه ولازمه حتّى استشهد بين يديه يوم الطّف ، وزاده شرفاً على شرف الشهادة التسليم عليه بالخصوص في زيارة الناحية المقدّسة^(١).



علي بن صلاح الدين الأيوبي

كان صلاح الدين الأيوبي معادياً لشيعة أهل البيت عليهم السلام ، فقد عزل قضاة الشيعة عند تولّيه الوزارة ، قضى على الدولة الفاطمية في مصر ، وانقرض أمر الشيعة هناك بعدما فعل بهم صلاح الدين الأيوبي ما فعل .

قال ابن خلدون : بعد وفاة العاضد - آخر خلفاء الفاطميين - احتوى على قصر الخلافة بما فيه ، فحمله بهاء الدين قراقروش إليه ، وكان في خزانته من الذخيرة ما لم يسمع بمثله . ثم أتى ابن خلدون على ذكر طائفة منها ، ومنها مكتبة تحوي مائة وعشرين ألف سفر أعطاهها للفاضل عبدالرحيم البيساني .

وقال بعد ذلك : ثم حبس - أي صلاح الدين - رجالهم ونساءهم حتّى ماتوا ، وكانت بالدولة عند عهد العزيز والحاكم قد خلا جوّها من رجالات كتامة ، وتفرّقوا في المشرق في سبيل ذلك الملك وانقرضوا بانقراض أمر الشيعة وموت العاضد آخر خلفائهم . ولمّا هلك العاضد - الحاكم الفاطمي - وحول صلاح الدين الدعوة إلى العباسيّة ، اجتمع قوم من الشيعة بمصر وبايعوا لداود بن العاضد ، ونمي خبرهم إلى صلاح الدين فقبض عليهم وقتلهم ، وأخرج داود من القصر ، وذلك سنة تسع وستين وخمسائة^(١) .

(١) تاريخ الشيعة - الشيخ سليمان ظاهر ١ : ١٩٧ .

هذا شأن صلاح الدين الأيوبي مع الشيعة حيث أزال دولة الفاطميين الشيعة وأحالها إلى دولة عباسية، وقتل من الشيعة، وسجن الكثير منهم.

إلا أن ولده علي أظهر خلاف ذلك، فقد التزم بمذهب أهل البيت عليه السلام، وكان شيعياً حسن المذهب، ممّا دعى أهله إلى حرمانه من حقّ وراثته أبيه في الملك، واستحوذوا عليه دونه، وأبعدوه عن حقّه. فكتب إلى الخليفة الناصر العباسي يشكو أهله وما فعله عمّه عثمان وأخوه أبو بكر، فكتب إليه:

مولاي أن أبا بكر وصاحبه عثمان قد غصبا بالسيف حقّ علي
وخالفاه وحلاً عقد بيعته فالأمر بينهما والنصّ جلي
فانظر إلى حظّ هذا الاسم كيف لقي من الأواخر ما لاقى من الأول
وسياتي ردّ الناصر في محلّه إن شاء الله تعالى.

عنونه صاحب طبقات أعلام الشيعة هكذا: علي بن يوسف بن أيوب بن شادي بن مروان، وقال: هو الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن علي ابن السلطان صلاح الدين الكردي الأيوبي، المولود بالقاهرة (٥٦٥)، والمتوفى بسمياط في (٦٢٢هـ)، وكان أكبر ولد أبيه.

ملك دمشق بعد موت والده، وملك أخوه العزيز لمصر، وأخوه الظاهر لحلب.

قال الصفدي: إنّ الأفضل كامل الفضائل يتظاهر بالتشيع، ومن قوله:

ذي سنّة بين الأنام قديمة أبداً أبو بكر يجور على علي

وترجمه الياضي في مرآة الجنان أنّه سمع من جماعة، وله شعر، وترسل، وجودة كتابة، وفيه فضيلة ونباهة، وكان محبّ العلماء ويعظّمهم.

وترجمه القاضي التستري في مجالس المؤمنين ، وضياء الدين المؤيدي في
 نسمة السحر في مَنْ تشييع وشعر : وكلهم أوردوا له ما كتبه إلى الناصر العباسي
 أحمد ، مستنصراً منه وشاكياً إليه عن عمّه أبي بكر وأخيه عثمان .
 وحكي عن الذهبي أنه قال : إنّ أخاه المحسن بن صلاح الدين أيضاً كان
 شيعياً^(١) .



الخليفة العباسي المأمون

(عبدالله بن هارون الرشيد)

وهو الخليفة المأمون أبو الفضل وأبو العباس عبدالله بن هارون الرشيد بن المهدي ابن المنصور العباسي .

قال الصنعاني : وكان المأمون يظهر أنَّ مذهبه مذهب القائلين بالنص والوصية من الشيعة ، فلذا بايع الناس للإمام الرضا عليه السلام بالعهد ، وأمر فنودي : برئت الذمة ممّن ذكر معاوية بخير ، أو ترخّم عليه ، وأمر بلعنه على المنابر مراراً ، ونادى بتحليل متعة النكاح ، حتّى صدّه القاضي يحيى بن أكثم وقال المتعة زنا لأنّه :

قاضي يرى الحدّ في الزناء ولا يرى على من يلوط من بآس

وذكر ابن خلّكان عن محمّد بن منصور ، قال : كنا مع المأمون في سفر ، فأمر أن يُنادى بتحليل المتعة ، فقال لي يحيى بن أكثم ولأبي العيناء : فإن رأيتما للقول وجهاً فقولاً ، وإلا فاسكتا حتّى أدخل .

قال : فدخلنا وهو يستاك ويقول وهو مغتاظ : متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وعند أبي بكر وأنا أنهى عنهما ، ومن أنت يا جُعل حتّى تنهى عمّا فعله رسول الله ﷺ ، فأمسكنا حتّى جاء يحيى بن أكثم فجلس ، فقال المأمون : ما لي أراك متغيّراً ؟ فقال : هو غمّ يا أمير المؤمنين لما حدث في الإسلام من النداء

بتحليل الزنا، قال: الزنا! قال: نعم، المتعة زنا، قال: ومن أين لك هذا؟ قال: من كتاب الله تعالى وحديث رسول الله ﷺ، قال الله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾^(١)، والمتعة من وراء ذلك، فمتبعتها من العادين، وهذا الزهري روى عن عبدالله والحسن ابني محمد بن الحنفية، عن أبيهما، عن علي، قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد أن كان أمر بها، فقال المأمون: أمحفوظ هذا من حديث الزهري؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، رواه جماعة منهم مالك، فقال: استغفر الله نادوا بتحريم المتعة، قال: فنادوا بذلك^(٢).

قال الصنعاني وله في مذهبه:

أقسم بالله وآلائه	والمرء عما قال مسؤول
إن علي بن أبي طالب	على التقى والبر مجبول
وأنه كان الإمام الذي	له على الأمة تفضيل
يقول بالحق ويختاره	ولا تدانيه أباطيل
كان إذا الحرب براها القنى	فقصرت عنها البهاليل

(١) سورة المؤمنون: الآيات ١-٦.

(٢) من البعيد أن ينصاع المأمون لكلام يحيى بن أكثم بهذه البساطة، فالمأمون ليس ساذجاً لتشيه دعوى يحيى بن أكثم بشهادة خير لم يثبت صحته رواه عن الزهري، والمأمون لم يقدم على تحليل المتعة إلا بعد أن رأى تواتر الأحاديث الواردة، فلا يعارضها خبر واحد روي عن الزهري، والمأمون من قد علمت، فقيهاً محدثاً لا يأخذه يحيى بن أكثم بحجته الواهية، ولو كان ليحيى من الحجّة والاقناع، وللمأمون من البساطة والسذاجة في الرؤية، وعدم القناعة إلى ما يذهب إليه لكان نهاء عن العدول عن رؤيته العدلية، وعقده ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام، وتقريبه العلويين، وإبعاده بني العباس. فالخبر يكشف عن صحته إلا أنه يذيل بما يبعده عن واقعته.

يمشي إلى القرن وفي كفّه أبيض ماضي الحدّ مصقول
مشي العفريا بين أشباله أسلمه المقتنص الغيل^(١)

والأبيات ينسبها البعض إلى السيّد الحميري رضوان الله عليه .

وقال الطبري عند تأريخه لسنة ٢١٢: وفيها أظهر المأمون القول بخلق القرآن ،
وتفضيل عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وقال : هو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ،
وذلك في شهر ربيع الأوّل منها^(٢) .

إلا أنّ المسعودي يحاول أن يذكر سبب براءة المأمون من معاوية بن
أبي سفيان ، وأمر الناس بذلك متجاهلاً ما ذكر الطبري من تفضيل عليّ عليه السلام بعد
رسول الله صلى الله عليه وآله ، حيث يذكر قضية أوردّها الزبير بن بكار ، وإن كنّا لا نميل إلى
حصر السبب في ذلك ، بل إنّ نوازع اعتقاده ناشئة من حيثيات ثقافيّة قديمة
ترعرع عليها المأمون ، وليس اعتقاده من دوافع وقتيّة عارضة .

قال المسعودي : وفي سنة اثنتي عشرة ومائتين نادى منادى المأمون : برئت
الذمة من أحد من الناس ذكر معاوية بخير أو قدّمه على أحد من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وآله ، وتكلّم في أشياء من التلاوة أنّها مخلوقة ، وغير ذلك ، وتنازع الناس في
السبب الذي من أجله أمر بالنداء في أمر معاوية ، ف قيل في ذلك أقاويل ، منها :
أنّ بعض سماره حدّث بحديث عن مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي ، وقد ذكر
هذا الخبر الزبير بن بكار في كتابه المعروف بالموقفيات التي صنفها للموفق ، وهو
ابن الزبير ، قال : سمعت المدائني يقول : قال مطرف بن المغيرة بن شعبة : وفدت
مع أبي المغيرة إلى معاوية ، فكان أبي يأتيه يتحدّث عنده ثمّ ينصرف إليّ فيذكر

(١) نسمة السحر يذكر من تشييع وشعر - اليماني الصنعاني ٢ : ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ١٨٨ .

معاوية ويذكر عقله ، ويعجب ممّا يرى منه ؛ إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ، فرأيته مغتماً ، فانتظرته ساعة ، وظننت أنّه لشيءٍ حَدَثَ فينا ، أو في عملنا ، فقلت له : ما لي أراك مغتماً منذ الليلة ؟ قال : يا بني ، إني جئت من عند أحبِّ النَّاسِ ، قلت له : وما ذاك ؟ قال : قلت له وقد خلوت به : إنّك قد بلغت منا يا أمير المؤمنين ، فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً فإنّك قد كبرت ، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم ، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه ، فقال لي : هيهات ، هيهات !! ملك أخوتيم فعدل ، وفعل ما فعل ، فوالله ما عدا أنّ هلك فهلك ذكره ، إلّا أن يقول قائل : قال أبو بكر ، ثمّ ملك أخو عدي فاجتهد وشمرّ عشر سنين ، فوالله ما عدا أنّ هلك فهلك ذكره ، إلّا أن يقول قائل : عمر ، ثمّ ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه فعمل ما عمل ، وعمل به فوالله ما عدا أنّ هلك فهلك ذكره ، وذكر ما فعل به ، وأنّ أخا هاشم يُصرّخُ به في كلّ يوم خمس مرّات : أشهد أنّ محمداً رسول الله ، فأبي عمل يبقى مع هذا ؟ لا أمّ لك ، والله إلّا دفناً دفناً ، وأنّ المأمون لما سمع هذا الخبر بعثه ذلك على أنّ أمر بالنداء على حسب ما وصفنا وأنشئت الكتب إلى الآفاق بلعنه على المنابر ، فأعظم النَّاس ذلك وأكبروه ، واضطربت العامة منه ، فأشير عليه بترك ذلك ، فأعرض عمّا كان همّ به^(١).

هذا ما أشار إليه المسعودي وجعله سبباً لتبرئته من معاوية ، إلّا أنّ الحقّ شيء وراء ذلك ، فبرائته من معاوية وتفضيله عليّاً عليه السلام على أبي بكر وعمر أمرٌ ينطوي عليه الكثير من الدوافع والأسباب ، أعرض المؤرّخون عن ذكرها ، أو أنّها لم تقع في أيديهم بعد ، وقد عدّه السيوطي ليس شيعياً فحسب ، بل إنّهُ مفرطٌ في التشيع .

فما الذي دعا المأمون إلى ذلك ؟ وسيأتي تفصيله فيما بعد.

قال السيوطي : كان معروفاً بالتشيع ، وقد حمّله ذلك على خلع أخيه المؤمن والعهد بالخلافة إلى عليّ الرضا ، كما سنذكره .

وفي سنة إحدى ومائتين خلع أخاه المؤمن من العهد ، وجعل ولي العهد من بعده عليّ الرضا ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ، حمّله على ذلك إفراطه في التشيع ... وفي سنة إحدى عشرة أمر المأمون بأن ينادى : برئت الذمة ممّن ذكر معاوية بخير ، وإنّ أفضل الخلق بعد النبي عليه الصلاة والسلام عليّ بن أبي طالب .

وفي سنة اثنتي عشرة أظهر المأمون القول بخلق القرآن ، مضافاً إلى تفضيل عليّ على أبي بكر وعمر ، فاشمأزت النفوس منه ، وكان البلد يفتتن ، ولم يلتزم له من ذلك ما أراد ، فكفّ عنه إلى سنة ثمان عشرة^(١) .

ورواية اليعقوبي تهدينا إلى عقيدة المأمون قولاً وعملاً ، فهو لم يقتصر على نزعه في القول فقط ، بقدر ما كان يترجمها عملاً يأخذ الآخرين بذلك .

قال اليعقوبي : وكان بشر بن الوليد الكندي ، قاضي المأمون ببغداد ، قد ضرب رجلاً قُرف بأنّه شتم أبا بكر وعمر ، وأطافه على جمل ، فلمّا قدم المأمون أحضر الفقهاء فقال : إنّي قد نظرت في قضيتك يا بشر ، فوجدتك قد أخطأت بهذا خمس عشرة خطيئة ، ثمّ أقبل على الفقهاء فقال : أفيكم من وقف على هذا ؟ قالوا : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : يا بشر ، بمّ أقمت الحدّ على هذا الرجل ؟ قال : يشتم أبي بكر وعمر ، قال : حضرتك خصومة ؟ قال : لا ، قال : فوكّلوك ؟

(١) تاريخ الخلفاء - السيوطي : ٢٨٥ ، وما بعدها .

قال : لا ، قال : فللحاكم أن يقيم حدَّ القُرْفَةِ^(١) بغير حضور خصم ؟ قال : لا ، قال : وكنت تأمن أن يهب بعض القوم حصَّته فيبطل الحدَّ ؟ قال : لا ، قال : فأُمُّهُما كافرتان أو مسلمتان ؟ قال : بل كافرتان ، قال : فيقام في الكافرة حدَّ المسلمة ؟ قال : لا ، فقال : فهبك فعلت هذا بما يجب لأبي بكر وعمر من الحقِّ ، أفيشهد عندك شاهدا عدلٍ ؟ قال : قد زكي أحدهما ، قال : فيقام الحدَّ بغير شاهدين عدلين ؟ قال : لا ، قال : ثمَّ أقيمت الحدَّ في رمضان ، فالحدود تقام في شهر رمضان ؟ قال : لا ، قال : ثمَّ جلدته وهم قائم ، فالمحدود يقام ؟ قال : لا ، قال : ثمَّ شبخته بين العقابين ، فالمحدود يُشَبِّح ؟ قال : لا ، قال : ثمَّ جلدته عرياناً ، فالمحدود يُعْرَى ؟ قال : لا ، قال : ثمَّ حملته على جمل ، فأطفته ، فالمحدود يُطاف به ؟ قال : لا ، قال : ثمَّ حبسته بعد أن أقيمت عليه الحدَّ ، فالمحدود يُحبس بعد الحدَّ ؟ قال : لا ، قال : لا يراني الله أبوء بإثمك وأشاركك في جرمك ، خذوا عنه ثيابه ، وأحضروا المحدود ليأخذ حقَّه منه ، فقال له من الفقهاء : الحمد لله الذي جعلك عاملاً بحقوقه ، عارفاً بأحكامه ، تقول الحقَّ ، وتعمل به ، وتأمر بالعدل ، وتؤدِّب من رغب عنه ، إنَّ هذا يا أمير المؤمنين حاكم أجدر بأبيه فأخطأ ، فلا تفضح به الحكام ، وتهتك به القضاء ، فأمر به فحبس في داره حتَّى مات^(٢).

على أنَّ المأمون لم يعاقبه على ما ارتكبه من أخطاء بقدر ما أراد معاقبته على أصل مشروعية الحدَّ واستحقاقه ، فإنَّ شتم أبي بكر وعمر لا يوجبان الحدَّ في رأيه ، وأشار إلى ذلك في قوله : « فهبك فعلت هذا بما يجب لأبي بكر وعمر من الحقِّ » ، أي أنَّه تنزَّل إلى استحقاق الحدَّ في شتمهما ولم يكن مسلماً بذلك .

(١) القُرْفَة : التهمة الباطلة .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٢٧ .

تشيع المأمون في الميزان :

أثارت ولاية العهد التي عقدها المأمون العباسي للإمام الرضا عليه السلام ، قلق البيت العباسي وسخطه ، كما أثارت في الوقت نفسه اضطراب المؤرخين في تحليل وتقييم وتصويب أو تخطئة «المبادرة المأمونية» هذه .

فالمؤرخ ، والمحلل السياسي ، والمفكر والمنظر والكاتب والقارئ وغيرهم ، كل أولئك انطلق من وجهة نظره يساهم في حل «لغز» هذه المبادرة .

والحقيقة ، أن المقدمات التي إعتد عليها الجميع في دراسة هذا الموقف تنطلق من النظرة الخاصة التي تشارك في صياغة الشخصية المحللة للحدث ، فهي على مفترق الطرق ، لكنها تجمعها أخيراً معرفة الأسباب الكامنة وراء هذه العملية التي أطاحت بالنظرة العباسية السالفة والتقليد السياسي الموروث الذي التزمه البيت العباسي في استبعاد العلويين من الحكم بحجة عجزهم وفشلهم وعدم لياقتهم لإدارة النظام ، وإذا بالمأمون العباسي يعلن على الملأ الإسلامي أن الفضل والعلم والكرم واللياقة والورع والتقوى كلها تجتمع في شخص على بن موسى الرضا ، وهو أهل للخلافة والإمامة .

فما الذي دفع المأمون لذلك ، هل هو الاعتقاد الخالص بصحة ما أقدم عليه ؟ أم هي اللعبة السياسية التي يتبناها المأمون لإظهار مقدرته على ترويض الأزمات واستخدامها لصالحه ؟

أم هي التجربة الفاشلة في حساباته لإظهار عجز وفشل آل البيت في الحكم ؟ أم لأسباب كامنة أخفاها التاريخ أو موهت عليها السياسة وأخفتها المصالح ؟

ظروف «الخلافة المأمونية» :

واجهت خلافة المأمون حالة استثنائية من المعارضة الشديدة التي زعزعت الأمن وقوضت الاستقرار ، وأدت إلى إرتجاج الثقة المتبادلة بين الخليفة السياسي وبين البيت العباسي نفسه ، وذلك بعد مقتل الأمين على يد المأمون ، حتى شعر العباسيون بفقدان الهيبة السياسية التي ورثوها من أسلافهم الأقدمين .

لقد كانت المعارضة القائمة إبان عهد المأمون هي معارضة واحدة لوجهين مختلفين متباينين ، فالمعارضة العباسية السياسية تباين المعارضة العلوية السياسية المسلحة ، وكلا المعارضتين تتفقان على هدف واحد وهو إسقاط الخليفة القائم ، فالعباسيون يهدفون من معارضتهم هذه ابقاء الشرعية المزعومة وحق الخلافة للبيت العباسي ، والعلويون يهدفون إلى تقويض البيت العباسي وإنتقال الخلافة إلى البيت الشرعي وهم آل علي من الهاشميين ، وهكذا كل ينافح لأجل هدفه ، فأولئك يعملون على تقوية شرعية البيت العباسي ، وهؤلاء يعملون على سحب الشرعية المزعومة ، فكان الإختلاف في الأهداف قد أدى إلى الإختلاف في الأساليب ، وبالتالي ظهور المعارضة العباسية الجديدة لا يعني تأييد المعارضة العلوية الأصلية ، لاختلاف المبادئ وتباين الأهداف .

إن مجزرة الأمين ومقتله من قبل المأمون ، وتقديم العنصر الفارسي ونقل الخلافة من بغداد إلى خراسان ، والتقرب السياسي للعلويين ، كل ذلك أثار حفيظة العباسيين وأفزعهم ، ووجدوا أن خليفتهم الجديد لن يلتزم بأبسط تقاليد الأسرة العباسية وهي إعلان العداء لآل علي والتنكيل بهم وتقتيلهم ، ورأوا أن قتل المأمون للأمين أضعف شوكتهم وكسر هيبتهم ، وكان لانتقال العاصمة الإسلامية من بغداد إلى خراسان ضربة سياسية أربكت التشكيلة الأسرية العباسية القاطنة

في العاصمة بغداد وزعزعت هيبتهم ، لذا عمدوا إلى التمرد على جميع قرارات الخلافة وخلعوا ومبايعة عمه إبراهيم بن المهدي وأعلنوا بغداد عاصمة لهم ، وكان العرب من وراء هذه الحركة لما رأوا ميل المأمون إلى أهل فارس وتقديمهم وجعل العنصر العربي عنصراً ثانوياً في مراسم الخلافة العباسية . . لقد ارتضى إليهم عناداً لأهل اليمن الكارهين له ، ومكابرة لربيعة التي نافست المضريين وقد بُعث منهم رسول الله ﷺ ، وهكذا نفلسفت « قومية » المأمون فانحازت إلى غير أصولها ، تخالطها تحفظات سياسية خفية .

روى الطبري عن محمد بن علي بن صالح السرخسي قال : تعرض رجل للمأمون بالشام مراراً ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم أهل خراسان ، فقال : أكثرت عليّ يا أخا أهل الشام ، والله ما أنزلت قيساً عن ظهور الخيل إلا وأنا أرى أنه لم يبق في بيت مالي درهم واحد ، وأما اليمن ، فوالله ما أحببتها ولا احببني قط ، وأما قضاة فسادتها تنتظر السفيناني وخروجه فتكون من أشياعه ، وأما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث نبيه من مضر ، ولم يخرج اثنان إلا خرج أحدهما شارباً ، أغرب فعل الله بك ^(١) ويمكن القول أن هذه النظرة قد أتاحت للمأمون أن ينطلق من أسرار تقليديته القومية ليخوض في مديات علمية جديدة ويستفيد من منابع ثقافية جديدة غير تلك التي التزم بها أبائوه ، فقد تفتح على علوم الفلك والهيئة والحساب والهندسة إلى غير ذلك مع احتفاظه بثقافته العربية التي أثرت به بالأدب العربي وأحوال الشعراء وغير ذلك .

ان ذلك لا يعني تصحيحاً أو تبريراً لما أقدم عليه المأمون فان رجلاً سياسياً

(١) تاريخ الطبري ٨ : ٦٥٢ دار سويدان - بيروت ، وكذا رواه ابن الاثير في الكامل ٥ : ٢٣٠

يجعل الهدف السياسي في مقدمة تطلعاته ، لا يمكن الاعتماد على رؤيته الجديدة سواء «تشيعه المُدعى» أو في فلسفته الجديدة المناهضة لتطلعات بني أبيه .

من ناحية أخرى كان العلويون يرون استمرارية حقهم في المعارضة المسلحة ، فإن اغتصاب الخلافة من البيت العلوي هي النظرية التي أطرت جميع إطروحات المعارضة والكفاح المسلح ضد العباسيين ، ووجدوا أن التواني عن المطالبة بحقوقهم هو التفريط بالدماء التي سفكت من قبل لأجل استرداد حقهم المغتصب ، وأن المأمون العباسي لم يكن إلا رجلاً سياسياً مناوراً استخدم مناوراته السياسية للتقرب من العلويين لضرب العلويين أنفسهم وافشال جميع خططهم وإسكات معارضتهم ، وهي العملية التكتيكية التي لا ينبغي للعلويين إنجاحها وتمير خطط النظام الحاكم من خلالها ، لذا استمرت المعارضة العلوية بل قويت أثناء الخلافة المأمونية ، مما حدى بالمأمون إلى كسب ود المعارضة العلوية المسلحة التي هي الأقوى في حساباته السياسية ، ثم إقصائها بالقضاء عليها وتصفيتيها بعد إسكاتها ، وكسب ود الفرس الذين يتشيعون لآل البيت عليهم السلام ، ورأى أن المعارضة العباسية لم تكن سوى معارضة سياسية لم تصل إلى حد السيف ، فكانت الحكمة إيجاد مخرج سياسي من الأزمة الخانقة هذه ولا تكون إلا بعقد البيعة للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وإظهار المصالحة والتقرب إليه وإمكانية التعامل الوقتي معه إلى حين استتباب الأمور والقضاء على الحركات العلوية المسلحة وإخماد أنفاس المعارضة السياسية .

لقد كان الإمام الرضا عليه السلام عالماً بنوايا المأمون السياسية ، وعارفاً بالعملية التكتيكية التي لابد للمأمون من ارتكابها ، مما دعا الإمام عليه السلام إلى رفض هذه المناورة ، لكن تهديد المأمون عاجله باتخاذ ما يلزم وأجبره على السكوت ، والتسليم إلى الواقع السياسي العنيف الذي استعد لتحطيم كل العقبات التي تقف

في طريق مشاريعه السياسية الجديدة ، وكان الإمام الرضا عليه السلام كارهاً للدخول في أي برنامج سياسي من هذا النوع ، غير راضٍ لإبداء أي تعاون مع النظام ، وذلك لمعرفته عليه السلام أن النظام لا يتعامل معه إلا من منطلق سياسي مصلحي وليس للإصلاح السياسي أو الاجتماعي وزنٌ في حسابات النظام ، وكان الإمام يطمح إلى الإصلاح السياسي والاجتماعي والأخلاقي والاقتصادي من خلال أية أطروحة إصلاحية صادقة ، ومحاولة تغييرية جديّة تتكامل فيها مقومات الإصلاح ومتطلبات التغيير . والإمام بعد هذا كله لم يكن متشوقاً للوصول إلى الحكم عن طريق مشاريع النظام ، بل يجد من نفسه « أهليّة للخلافة مضيعة » من قبل الأمة وقد فرطت بالشرعية الإلهية للخلافة وسكتت عن إنتزاع القوى السياسية المضادة لآل البيت على دست الحكم ، فالإمام لو كان راغباً بالحكم عن غير الطريق الشرعي الذي يوصله إلى الحكم أو بالبيعة الرمزية من قبل الأمة ، لكان قبل هذا الوقت قد عمل على أخذ السلطة بالمناورات السياسية والتكتيك المسلح ، لكنّه رأى الظرف لم يكن ملائماً لإعلان الثورة الإصلاحية والكفاح المسلح كما فعل جده الحسين من قبل ، حيث رأى جده الحسين جدية الظروف للقيام بأية ثورة إصلاحية ، وملائمة الظرف السياسي وصدق التكامل الروحي والمعنوي للقوة المسلحة الملتفة حوله ، لذا أعلن ثورته المسلحة ، فكانت نتائجها تثبيت مشروعية خلافة آل البيت في أذهان الأمة والنظر إلى أي نظام حاكم من غير آل البيت على أنّه نظام مغتصب غير مشروع .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر بادر الإمام الرضا عليه السلام إلى إفشال جميع مخططات المأمون الهادفة إلى التمويه بأن أهل هذا البيت إنما نازعوه على أمر السلطان ، وكانت معارضتهم للانظمة إنّما هي لحرمانهم من الحكم الذي ينشوقون للوصول إليه ، ويتطلعون للسعي من ورائه ، ولم تكن معارضتهم فكرية

كما يدعون ، لذا فإن قبول الرضا بولاية العهد هو دليل على صحة الدعوى التي أدخلها النظام في روع صنائعه السياسيين فضلاً عن السذج السطحيين ، وسيكون تولي الرضا لأي مركز سياسي حكومي تأكيد على إبداء عجزه الإداري فضلاً عن السياسي فكيف يتصدون لمعارضة النظام وهم غير مؤهلين بعد لأي منصب حكومي في الدولة ؟

لذا بادر الإمام الرضا عليه السلام إلى إفشال جميع هذه المخططات بعد إعلانه عن عدم رغبته مطلقاً للاستجابة لدعوة المأمون العباسي لولاية العهد ، وعلم بذلك العام والخاص ، فأحبط بذلك مدعيات النظام ، فضلاً عما أبداه الإمام الرضا من مهارة سياسية عاجل فيها كل المستجدات الطارئة التي أُلْمِتْ بالمأمون العباسي بعد فزعه إليه ولجوئه إلى الإستغاثة به لحل الأزمات التي أوجدها وزرائه وأهل خاصته ، على ما تذكره مطولات السير والتاريخ ، فراجع .

الانعطافات الفكرية لدى المأمون ... إعتقاد راسخ ، أم تكتيك مبرمج ؟

كان مما ذكرناه الانعطاف الذي حدث في الحياة السياسية الجديدة للمأمون وبينما بعض الملابس التي رافقت هذه المستجدات والتحولات التي أحدثت نقلة جديدة للمعارضتين العباسية والعلوية على حد سواء ، فعلى صعيد المعارضة العباسية ، إرتبكت النظرة التقليدية السائدة لدى العامة بأن الحكم العباسي لم يكن راغباً في إستبعاد آل علي من الحكم ، بل أقر لهم بالفضل والمنزلة وأهلية الخلافة ورغبة النظام إلى توطيد العلاقة بينه وبين العلويين ، لذا تراجع التأييد الشعبي للمعارضة العباسية وإضمحلّت إلى معارضة خفية تجول في صدور خاصة البيت العباسي لعدم وجود متنفسٍ تطلق فيها إستنكارها للسياسة الجديدة ، فضلاً عما اتخذته المأمون العباسي من ترتيبات أمنية احترازية

لاحباط أي تحرك مضاد لما عزم عليه من الإرسال إلى الإمام الرضا وعقد ولاية العهد له ، هذا من جانب المعارضة العباسية ، أمّا من جانب المعارضة العلوية المسلحة فقد نشطت لاحباط أي مخطط يسعى للالتفاف عليها وإسكانها بأي تمميع سياسي مبرمج ، أو أية مناورة سياسية أخرى ، حيث علمت المعارضة العلوية أن عدم الجدية التي رافقت عقد ولاية العهد ما هي إلا محاولة لعزل الإمام الرضا عن قواعده وإبعاده عن مركز تحركاته الحرة ذات الثقل السياسي فضلاً عن الديني ، وهي المدينة المنورة التي تعتبر المركز التقليدي الموروث لآل البيت عليه السلام ، وجعل تحركات الإمام الرضا تحت نظر السلطة مباشرة ، لذا لم تتوانى المعارضة العلوية عن إعلان استنكارها ورفضها لهذا التصالح الموهوم .

هذا على مستوى الانعطاف السياسي ونتائجه ، أمّا على مستوى الانعطافات الفكرية والعقائدية التي أحدثتها سياسية المأمون الجديدة ، فبالرغم من كونها جزءاً من المشاريع السياسية المبرمجة ، أملت ظروف تاريخية معلومة ، إلا أنها كانت ردفاً مهماً لمشروعية مدرسة النص ، وتأييداً على المدى البعيد لفكر آل البيت عليه السلام ، فضلاً عن المدى القريب ولو بقدر محدود ، حيث بادر المأمون العباسي إلى التزام مبدأ أحقية آل البيت عليه السلام - الشعار الذي رفعه العباسيون أول مرة للاطاحة بالحكم الأموي - ، والتلويح إلى انتزاع المهاجرين على الخلافة مع وجود مَنْ هو أحقّ منهم ، والتصريح تارة أخرى في تصوير الخطأ الذي ارتكبه الأوّل في استبعاد عليّ عن حقّه الشرعي في الخلافة ، كما التزم مبدأ فتح الحوار العلمي بينه وبين علماء بني العباس ، محاولة منه لأخذ التأييد والاعتراف بما ذهب إليه ظاهراً ، مع ما لاقى من سخط آله عليه ، أو التعامل مع ما ذهب إليه على أساس المجاملة فقط على أقل تقدير .

عقد المأمون العباسي مناظرات علمية بينه وبين علماء أهل السنة حاول فيها

إثبات أحقية آل البيت ، وكسب الجولات العلمية حتّى أثبت مهارته في هذا المجال ، ولعل ما كان من مناظراته التي سنذكرها بحضور القاضي يحيى بن أكنم وحماد بن زيد وغيرهم من قضاة الدولة وعلمائها ، هي من أهم ما سجلته لنا جهود المأمون الفكرية في خصوص انعطافاته السياسية والعقائدية ، ولعلها أخطر منزلة يجري فيها تحديد مصير مدرسة الإجماع آنذاك والتي من خلالها سجلت هذه المدرسة تراجعاً ملحوظاً على المستوى الفكري والعقائدي ، وستوقفنا هذه المناظرة أخيراً على معالم مدرستي النص والإجماع فضلاً عن بعض معالم المأمون المجهولة وإليك نص المناظرة:

عن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل عن حماد بن زيد قال بعث إلي يحيى بن أكنم وإلى عدة من أصحابي وهو يومئذ قاضي القضاة فقال: إن أمير المؤمنين - يعني المأمون - أمرني أن أحضر معي غداً مع الفجر أربعين رجلاً كلهم فقيه يفقه ما يقال له ويحسن الجواب فسموا من تظنونهم يصلح لما يطلب أمير المؤمنين فسمينا له عدة وذكر هو عدة حتّى تم العدد الذي أراد وكتب تسمية القوم وأمر بالبكور في السحر وبعث إلي من لم يحضر فأمره بذلك فغدونا عليه قبل طلوع الفجر فوجدناه قد لبس ثيابه وهو جالس ينتظرنا فركب وركبنا معه حتّى صرنا إلى الباب فإذا بخادم واقف فلما نظر إلينا قال: يا أبا محمد أمير المؤمنين ينتظرك .. إلى أن قال فلما استقر بنا المجلس عند المأمون قال .. قال المأمون بعد أن سألهم في الفقه مسائل: إني لم أبعث فيكم لهذا ولكنني أحببت أن أنبئكم أن أمير المؤمنين أراد مناظرتكم في مذهبه الذي هو عليه والذي يدين الله به . قلنا فليفعّل أمير المؤمنين وفقه الله .

فقال: إن أمير المؤمنين يدين الله على أن علي بن أبي طالب خير خلق الله

بعد رسوله ﷺ وأولى الناس بالخلافة له .

قال إسحاق : فقلت يا أمير المؤمنين إن فينا من لا يعرف ما ذكر أمير المؤمنين في علي ، وقد دعانا أمير المؤمنين للمناظرة .

فقال يا إسحاق اختر ، إن شئت سألتك أسألك ، وإن شئت أن تسأل فقل .

فقال إسحاق فاغتنمها منه ، فقلت بل أسألك يا أمير المؤمنين ، قال : سل ، قلت من أين قال أمير المؤمنين إن علي بن أبي طالب أفضل الناس بعد رسول الله وأحقهم بالخلافة بعده ؟

قال : يا إسحاق خبرني عن الناس بم يتفاضلون حتى يقال فلان أفضل من فلان ؟

قلت : بالأعمال الصالحة .

قال : صدقت ، قال فأخبرني عمن فضل صاحبه على عهد رسول الله ﷺ ، ثم أن المفضول عمل بعد وفاة رسول الله بأفضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله أيلحق به ؟ قال فأطرت ، فقال لي : يا إسحاق لا تقل نعم ، فإنك ان قلت نعم أوجدتك في دهرنا هذا من هو أكثر منه جهاداً وحجاً وصياماً وصلاة وصدقة . فقلت أجل يا أمير المؤمنين ، لا يلحق المفضول على عهد رسول الله ﷺ الفاضل أبداً .

قال : يا إسحاق فانظر ما رواه لك أصحابك ومن أخذت عنهم دينك وجعلتهم قدوتك من فضائل علي بن أبي طالب فقس عليها ما أتوك به من فضائل أبي بكر ، فإن رأيت فضائل أبي بكر تشاكل فضائل علي فقل أنه أفضل منه ، لا والله ، ولكن فقس إلى فضائله ما روي لك من فضائل أبي بكر وعمر فإن وجدت لهما من الفضائل ما لعلي وحده ، فقل : إنهما أفضل منه ، ولا والله ولكن قس إلى فضائله

فضائل أبي بكر وعمر وعثمان ، فإن وجدتها مثل فضائل علي فقل : إنهم أفضل منه لا والله ولكن قس بفضائل العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة ، فإن وجدتها تشاكل فضائله فقل : إنهم أفضل منه .

قال : يا إسحاق أي الأعمال كانت أفضل يوم بعث الله رسوله ؟ قلت : الإخلاص والشهادة .

قال : أليس سبق إلى الإسلام ؟ قلت : نعم .

قال : اقرأ ذلك في كتاب الله تعالى يقول : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(١) إنما عني من سبق إلى الإسلام ، فهل علمت أحداً سبق علياً إلى الإسلام ؟ قلت : يا أمير المؤمنين إن علياً أسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم ، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم .

قال : أخبرني أيهما أسلم قبل ، ثم أناظرك من بعده من الحداثة والكمال . قلت : علي أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة .

فقال : نعم ، فأخبرني عن إسلام علي حين أسلم ، لا يخلو من أن يكون رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام أو يكون إلهاماً من الله ؟ قال : فأطرقْتُ .

فقال لي : يا إسحاق لا تقل إلهاماً فتقدمه على رسول الله ﷺ لأن رسول الله لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبريل عن الله تعالى ، قلت : أجل ، بل دعاه رسول الله إلى الإسلام .

قال : يا إسحاق فهل يخلو رسول الله ﷺ حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلف ذلك من نفسه ؟ قال : فأطرقْتُ ، فقال : يا إسحاق لا تنسب

رسول الله إلى التكلف فإن الله يقول: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾^(١) قلت: أجل يا أمير المؤمنين، بل دعاه بأمر الله.

قال: فهل من صفة الجبار جل ثناؤه أن يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم؟ قلت: أعوذ بالله.

فقال: أفترأه في قياس قولك يا إسحاق أن علياً أسلم صبيلاً لا يجوز عليه الحكم قد كلف رسول الله ﷺ من دعاء الصبيان مالا يطيقون، فهو يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء ولا يجوز عليهم حكم الرسول ﷺ، أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى الله عز وجل؟ قلت: أعوذ بالله. قال: يا إسحاق فأراك إنما قصدت لفضيلة فضل بها رسول الله ﷺ علياً على هذا الخلق، أبانه بها منهم ليُعرف مكانه وفضله، ولو كان الله تبارك وتعالى أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا علياً؟ قلت: بلى.

قال: فهل بلغك أن الرسول ﷺ دعا أحداً من الصبيان من أهله وقرابته لثلاث تقول أن علياً ابن عمه؟ قلت: لا أعلم ولا أدري فعل أو لم يفعل.

قال: يا إسحاق أرايت ما لم تدريه ولم تعلمه هل تُسأل عنه؟ قلت: لا، قال: فدد ما قد وضعه الله عنا وعنك.

قال: ثم أي الأعمال كانت أفضل بعد السبق إلى الإسلام؟ قلت: الجهاد في سبيل الله.

قال: صدقت فهل تجد لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ ما تجد لعلي في الجهاد؟ قلت: في أي وقت؟ قال: في أي الأوقات شئت، قلت: بدر؟ قال: لا أريد غيرها، فهل تجد لأحد إلا دون ما تجد لعلي يوم بدر؟ أخبرني كم قتلى

بدر؟ قلت: نيف وستون رجلاً من المشركين، قال: فكم قتل علي وحده؟ قلت: لا أدري، قال: ثلاثة وعشرين أو اثنين وعشرين والأربعون لسائر الناس.

قلت: يا أمير المؤمنين كان أبو بكر مع رسول الله ﷺ في عريشه، قال: يصنع ماذا؟ قلت: يدير، قال: ويحك، يدير دون رسول الله أو معه شريكاً أو افتقاراً من رسول الله ﷺ إلى رأيه؟ أي الثلاث أحب إليك؟ قلت: أعود بالله أن يدير أبو بكر دون رسول الله ﷺ أو يكون معه شريكاً أو أن يكون برسول الله ﷺ افتقاراً إلى رأيه.

قال: فما الفضيلة بالعريش إذا كان الأمر كذلك؟ أليس من ضرب بسيفه بين يدي رسول الله ﷺ أفضل ممن هو جالس؟ قلت: يا أمير المؤمنين كل الجيش كان مجاهداً.

قال: صدقت، كل مجاهد، ولكن الضارب بالسيف المحامي عن رسول الله ﷺ وعن الجالس أفضل من الجالس، أما قرأت كتاب الله ﷻ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً^(١). قلت: وكان أبو بكر وعمر مجاهدين.

قال: فهل كان لأبي بكر وعمر فضل على من لم يشهد ذلك المشهد؟ قلت: نعم، قال: فكذلك سبق الباذل نفسه فضل أبي بكر وعمر قلت: أجل.

قال: يا إسحاق تقرأ القرآن؟ قلت: نعم.

قال: اقرأ علي ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾

فقرأت منها حتى بلغت ﴿يَشْرِبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(١).

قال: على رسلك، فبمن أنزلت هذه الآيات؟ قلت: في علي.

قال: فهل بلغك أن علياً حين أطعم المسكين واليتيم والأسير، قال: إنما نطعمكم لوجه الله؟ وهل سمعت الله وصف في كتابه أحداً بمثل ما وصف به علياً؟ قلت: لا.

قال: صدقت، لأن الله جل ثناؤه عرّف سيرته، يا إسحاق أأنت تشهد أن العشرة في الجنة؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين، قال: أرايت لو أن رجلاً قال: والله ما أدري هذا الحديث صحيح أم لا، ولا أدري إن كان رسول الله قاله أم لم يقله، أكان عندك كافراً؟ قلت: أعوذ بالله.

قال: أرايت لو أنه قال: ما أدري هذه السورة من كتاب الله أم لا، كان كافراً؟ قلت: نعم.

قال: فهل تعرف حديث الطير؟ قلت: نعم، قال: فحدثني به، قال: فحدثته الحديث، فقال: يا إسحاق اني كنت أكلمك وأنا أظنك غير معاند للحق، فأما الآن فقد بان لي عنادك، إنك توقن أن هذا الحديث صحيح؟ قلت: نعم، رواه من لا يمكنني رده.

قال: أفرأيت من أيقن أن هذا الحديث صحيح، ثم زعم أن أحداً أفضل من علي، لا يخلو من إحدى ثلاثة: من أن تكون دعوة رسول الله ﷺ عنده مردودة عليه، أو أن يقول عرف الفاضل من خلقه وكان المفضل أحب إليه، أو أن يقول

إن الله عزَّ وجلَّ لم يعرف الفاضل من المفضل ، فأبي الثلاثة أحب إليك أن تقول ؟ فأطرقت ، ثم قال : يا إسحاق لا تقل منها شيئاً ، فإنك أن قلت منها شيئاً استبتكت وإن كان للحديث عندك تأويل غير هذه الثلاثة الأوجه فقله قلت : لا أعلم ، وإن لأبي بكر فضلاً .

قال : أجل ، لولا أن له فضلاً لما قيل إن علياً أفضل منه ، فما فضله الذي قصدت له الساعة ؟ قلت : قوله الله عزَّ وجلَّ ﴿ثَانِيَا أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(١) فنسبه إلى صحبته .

قال : يا إسحاق أما إنني لا أحملك على الوعر من طريقك ، إنني وجدت الله تعالى نسب إلى صحبة من رضىه ورضى عنه كافراً وهو يقول قوله ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾^(٢) .

قلت : إن ذلك صاحب كان كافراً ، وأبو بكر مؤمن .

قال : فإذا جاز أن ينسب إلى صحبة نبيه مؤمناً وليس بأفضل المؤمنين ولا الثاني ولا الثالث ، قلت : يا أمير المؤمنين ان قدر الآية عظيم ، إن الله يقول ﴿ثَانِيَا أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ .

قال : يا إسحاق تأبى الآن إلا أن أخرج إلى الاستقصاء عليك ، أخبرني عن حزن أبي بكر أكان رضى أم سخطاً ؟ قلت : أن أبا بكر إنما حزن من أجل رسول الله ﷺ خوفاً عليه وغماً أن يصل إلى رسول الله شيء من المكروه .

(١) سورة التوبة : الآية ٤٠ .

(٢) سورة الكهف : الآيتان ٣٧ و ٣٨ .

قال: ليس هذا جوابي إنما كان جوابي أن تقول رضا أم سخط، قلت: بل كان رضا لله.

قال: فكان الله جل ذكره بعث إلينا رسولا ينهي عن رضا الله عز وجل وعن طاعته؟ قلت: أعوذ بالله.

قال: أوليس قد زعمت أن حزن أبي بكر رضا لله؟ قلت بلى قال: أولم تجد أن القرآن يشهد أن رسول الله ﷺ قال ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ نهياً عن الحزن؟ قلت: أعوذ بالله.

قال: يا إسحاق أن مذهبي الرفق بك لعل الله يردك إلى الحق ويعدل بك عن الباطل لكثرة ما تستعيز به، وحدثني عن قول الله ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ من عنى بذلك، رسول الله أم أبا بكر؟ قلت: بل رسول الله، قال: صدقت، قال: حدثني عن قول الله عز وجل ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، أتعلم من المؤمنين الذين أراد الله في هذا الموضوع؟ قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين قال: جميعاً انهزموا يوم حنين، فلم يبق مع رسول الله ﷺ إلا سبعة نفر من بني هاشم، علي يضرب بسيفه بين يدي رسول الله، والعباس أخذ بلجام بغلة رسول الله والخمسة محدقون به خوفاً من أن يناله من جراح القوم شيء حتى أعطى الله لرسوله الظفر، فالمؤمنون في هذا الموضع علي خاصة، ثم من حضره من بني هاشم، قال: فمن أفضل؟ من كان مع رسول الله ﷺ في ذلك الوقت أم من انهزم عنه ولم يره الله موضعاً يُنزّلها عليه؟ قلت: بل من أنزلت عليه السكينة.

قال: يا إسحاق من أفضل؟ من كان معه في الغار أم من نام على فراشه ووقاه

بنفسه حتّى تم لرسول الله ﷺ ما أراد من الهجرة؟ إن الله تبارك وتعالى أمر رسول الله ﷺ بذلك فبكى عليّ ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : ما يبكيك يا علي أجزعاً من الموت؟ قال: لا والذي بعثك بالحق يا رسول الله ولكن خوفاً عليك ، أفتسلم يا رسول الله؟ قال: نعم ، قال: سمعاً وطاعة وطيبة نفسي بالفداء لك يا رسول الله ، ثم أتى مضجعه واضطجع وتسجّى بثوبه وجاء المشركون من قريش فحفوا به ، لا يشكّون أنّه رسول الله ﷺ وقد أجمعوا أن يضربه من كل بطن من بطون قريش رجلٌ ضربةً بالسيف لئلا يطلب الهاشميون من البطون بطناً بدمه ، وعليّ يسمع ما القوم فيه من إتلاف نفسه ، ولم يدعه ذلك إلى الجزع كما جزع صاحبه في الغار ولم يزل عليّ صابراً محتسباً ، فبعث الله ملائكته ، فمنعته من مشركي قريش حتّى أصبح ، فلما أصبح قام فنظر القوم إليه فقالوا: أين محمّد؟ قال: وما علمي بمحمّد أين هو؟ قالوا: فلانراك إلّا مغروراً بنفسك منذ ليلتنا ، فلم يزل عليّ أفضل ما بدأ به ، يزيد ولا ينقص حتّى قبضه الله إليه .

يا إسحاق هل تروي حديث الولاية؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين قال: اروه ، ففعلت قال: يا إسحاق أرأيت هذا الحديث هل أوجب عليّ أبي بكر وعمر مالم يوجب لهما عليه؟ قلت: إن الناس ذكروا أن الحديث إنّما كان بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين عليّ ، وأنكر ولاء عليّ فقال رسول الله ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي من والاه وعاد من عاداه .

قال: في أي موضع قال هذا ، أليس بعد منصرفه من حجة الوداع؟ قلت: أجل . قال: فإنّ قتل زيد بن حارثة قبل الغدير ، كيف رضيت لنفسك هذا؟ أخبرني: لو رأيت ابناً لك قد أتت عليه خمس عشرة سنة يقول: مولاي مولى ابن عمي ، أيها الناس فاعلموا ذلك ، أكنت منكراً ذلك عليه: تعريفه الناس ما لا ينكرون

ولا يجهلون؟ فقلت: اللهم نعم.

قال: يا إسحاق افتنزه ابنك عما لا تنزه عنه رسول الله ﷺ؟ وَيَحْكُم! لا تجعلوا فقهاءكم أربابكم، إن الله جل ذكره قال في كتابه ﴿اتَّخِذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾^(١) وإن لم يصلوا لهم ولا صاموا ولا زعموا أنهم أرباب ولكن أمروهم فأطاعوا أمرهم، يا إسحاق أتروي حديث «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين قد سمعته وسمعت من صححه وجحده. قال: فمن أوثق عندك من سمعت منه فصححه أو من جحده؟ قلت: من صححه.

قال: فهل يمكن أن يكون الرسول ﷺ مزح بهذا القول؟ قلت: أعود بالله قال: فقال قولاً لا معنى له ولا يوقف عليه؟ قلت: أعود بالله. قال: أفما تعلم أن هارون كان أخا موسى لأبيه وأمه؟ قلت: بلى، قال: فعليّ أخو رسول الله لأبيه وأمه؟ قلت: لا.

قال: أوليس هارون كان نبياً وعلي غير نبي؟ قلت: بلى.

قال: فهذان إلى الآن معدومان في علي وقد كانا في هارون، فما معنى قوله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى؟ قلت له: إنما أراد أن يطيب بذلك نفس علي لما قال المنافقون إنه خلّفه استثقلاً له.

قال: فأراد أن يطيب نفسه بقول لا معنى له؟ قال: فأطرقت.

قال: يا إسحاق له معنى في كتاب الله بين قلت: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: قوله عز وجل حكاية عن موسى إنه قال لأخيه هارون: ﴿آخُذْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ

وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ^(١) قلت: يا أمير المؤمنين إن موسى خلف هارون في قومه وهو حي، ومضى إلى ربه، وإن رسول الله ﷺ خلف علياً كذلك حين خرج إلى غزاته.

قال: كلا ليس كما قلت، أخبرني عن موسى حين خلف هارون: هل كان معه حين ذهب إلى ربه أحدٌ من أصحابه أو أحدٌ من بني إسرائيل؟ قلت: لا. قال: أوليس استخلفه على جماعتهم؟ قلت: نعم.

قال: فأخبرني عن رسول الله ﷺ حين خرج إلى غزاته: هل خلف إلا الضعفاء والنساء والصبيان، فأني يكون مثل ذلك؟ وله عندي تأويل آخر من كتاب الله يدل على استخلافه إياه، لا يقدر أحدٌ أن يحتج فيه ولا أعلم أحداً احتج به، وأرجو أن يكون توفيقاً من الله، قلت: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: قوله عز وجل حين حكى عن موسى قوله ﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي * هَرُونَ أَخِي أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرَكُهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيْرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيْرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيْرًا﴾^(٢) فأنت مني يا علي بمنزلة هارون من موسى: وزيري من أهلي، وأخي شد الله به أزري، وأشركه في أمري كي نسبح الله كثيراً ونذكره كثيراً، فهل يقدر أحدٌ أن يدخل في هذا شيئاً غير هذا ولم يكن يبطل قول النبي ﷺ وأن يكون لا معنى له؟

قال: فطال المجلس وارتفع النهار، فقال يحيى بن أكثم القاضي: يا أمير المؤمنين أوضحت الحق لمن أراد الله به الخير، وأثبت ما لا يقدر أحد أن يدفعه، قال إسحاق: فأقبل علينا وقال: ما تقولون؟

(١) سورة الأعراف: الآية ٤٢.

(٢) سورة طه: الآيات ٢٩ - ٣٥.

فقلنا: كلنا نقول بقول أمير المؤمنين أعزه الله .

فقال والله لولا أن رسول الله ﷺ قال اقبلوا القول من الناس ماكنت لأقبل منكم القول ، اللهم قد نصحت لهم القول ، اللهم إني قد أخرجت الأمر من عنقي ، اللهم إني أدينك بالتقرب إليك بحب علي وولايته^(١) .

أقول : إنما أوردت هذا الخبر بطوله وذلك للاستفادة منه في أمور :

١ - كان الخبر عرضاً لمدرستين كلاميتين : إحداهما مدرسة الإمامية القائلة بالنص على خلافة علي بن أبي طالب ، والثانية مدرسة الإجماع وآراء نظرية أهل الحل والعقد .

٢ - امتاز هذا الخبر بالأهمية العلمية والموضوعية ، وذلك لالتزام مذهب المدرسة الإمامية في المناظرة السالفة للخليفة العباسي المأمون والذي عُرف بموقفه السييء من القيادة الشرعية لآل البيت ، فقد كان إقدامه على قتل الإمام علي بن موسى الرضا مظهراً آخر من سلسلة التصفيات الجسدية التي أقدم عليها بنو العباس لآل البيت عليه السلام وحلقة أخرى من المؤامرات المبتذلة التي حيكت للإطاحة بالشرعية الإلهية المتمثلة بآل البيت عليه السلام ، ومع هذا فقد إلتزم في هذه المناظرة جانب حقوق آل البيت ومثله أحسن تمثيل ، وكان الطرف المقابل للمناظرة العلمية والممثل لمدرسة الإجماع ، إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل الذي كان فقيهاً من فقهاء مدرسة أهل السنة وقد شغل منصب القضاء إبان عهد المأمون لفترة من الزمن ، ثم نقل هذا الخبر الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، المعروف بموقفه المتشجع من حقوق آل البيت ، والذي اشترك في

(١) العقد الفريد - ابن عبد ربه الأندلسي ٥ : ٣٤٩ - وما بعدها دار الكتب العلمية ، ط . ١ -

تنفيذ البرنامج التثقيفي المعادي لآل البيت ، والداعي إلى تجميع قضيتهم ، والإنصاف إلى طرفهم المقابل لهم ، والمعادي لفلسفتهم ، وقد حاول في كثير من جهوده التثقيفية إبراز وجهات النظر السياسية لمدارس أهل الحل والعقد ، وهو مع هذا كله ، أورد هذا الخبر بطوله وعرضه ، مع خلو أغلب كتب الحديث منه ، وقد استبعدته خبراً علمياً موضوعياً ، يمكنه أن يشارك في النظرة المعتدلة المستقلة من قضية الخلافة ، والذي يقدم وجهات نظر الطرفين ، بصياغتها الأصلية الخالصة .

فحفل الخبر من كل هذا بثلاث وجهات نظر ، متفقة في عدائها لآل البيت ، وقد اشتركت في تقديم الصيغة الحقيقية لوجهة نظر المدرسة الإمامية في صراعها مع أطراف النزاع ، من أجل تثبيت حقوق آل البيت !

٣ - بغض النظر عن توجهات المأمون السياسية إلا أن الخبر قدّم أنموذجاً ممتازاً للقارئ الجيد ، الذي يستطيع أن يقرأ الحدث الإسلامي بصيغته الكاملة ، ويعمل فكره لمحاولة استنباط حقائق الواقع الإسلامي ، الذي قدّمه التراث النبوي وشارك في صياغته التاريخ الإسلامي السليم ، فقد استفاد المأمون العباسي من وقائع التاريخ الإسلامي الخالص ، واستخدم الحديث النبوي لتفسير ما جرى من أحداث على أرض الواقع الإسلامي ، وقد تجرّد من أية نظرة تودي بحقيقة الحدث ، فكانت تجربته الموضوعية هذه أن قدّمت له رؤية جديدة فهم من خلالها ما جرى على الساحة الإسلامية ، واستطاع أن يخترق بنظرته الموضوعية المجردة جدران سقيفة بني ساعدة ، وقد جرى فيها ترتيب سير الأحداث لصالح النظريات السياسية المتحفزة للحكم الجديد .

٤ - قدّمت وقائع الخبر نقلاً مباشراً عن مجريات أساليب المراقبة لدى

المدرستين ، فقد استخدمت المدرسة الإمامية النص النبوي ، مجرداً عن النظرات الشخصية ، والتي تتدخل للعبث بالقصد النبوي الذي يقدم أطروحته على أساس وحي السماء ، وقد قابلتها المدرسة الأخرى باستحداث نظرة جديدة للحدث الإسلامي ، وذلك من خلال استخدام النص النبوي لتفسير وجهات نظرها السياسية لا العكس ، وهو استخدام جهودها لخدمة النص النبوي وقراءته بما ينسجم وواقعة المطروح .

فقد قدّم المأمون قراءة جيدة للنصوص النبوية ، وعرضاً خالصاً لمجريات الحدث الإسلامي ، وقد استعان ببديهيّات وضروريات عقلية ، واستخدم مسلّمات وجدانية ، كل ذلك من أجل الاستفادة من النصوص النبوية خالصة وهي تقدم أطروحة السماء في ترتيب الخلافة الشرعية ، وقد قابل الطرف الثاني هذا الجهد الرائع بكل مسلماته العلمية وطرحه الموضوعي حيث حاول إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القفز على الأحداث وتقزيم القضية الإسلامية المتعلقة بفضائل علي بن أبي طالب وتفريغها من محتواها والتعامل معها حدثاً بسيطاً لا يشارك في رسم صيغة الخلافة الشرعية ، بل استبدل النصوص النبوية بكل معطياتها بالانقلاب السياسي العاجل الذي أطاح بالخطط الإلهية للخلافة الشرعية وأطلق عليه «إجماع الأمة» ومنحه الشرعية بديلاً عن الأطروحة الإلهية لترتيب منصب الخلافة .

٥ - كان إسحاق بن إبراهيم قد استخدم منطق المزايدات السياسية في محاولة منح الشرعية لمؤتمر السقيفة ، وحاول تجريد النصوص النبوية من محتواها ، وذلك باستخدام أسلوب التلقين لمرتكزات موروثة مقدسة ، حملها في ذاكرته ، ولن يسمح لنفسه بمناقشتها يوماً ما ، حتّى سقط في مناظرته العلمية وهو يدافع

عن مقدماتٍ إتخذها لنفسه خاطئة ، وقد استعان بها في مناظرته ، أمثال أن حديث الغدير كان سببه تطبيقاً لنفس علي بن أبي طالب بعد مشاجرةٍ بينه وبين زيد بن حارثة وقد غفل أن زيد بن حارثة قد قتل قبل واقعة الغدير ، وهي كبوة تاريخية ، سجّلت تراجعاً كبيراً في موقف إسحاق الدفاعي ، ووهن ما ذهب إليه ، وهي الصورة الحقيقية لكثير من مناظرات اخواننا من الفرق الكلامية الأخرى ، وقد اعتمدوا على مقدمات خاطئة لن تعينهم على ما تمسكوا به ، ثم يحملون الطرف المقابل على التسليم به والأخذ بموجه .

٦- قدّمت الشرعية الإلهية للخلافة حججها الرصينة لكل من التزم جانبها ، بغض النظر عن مذهبه ومعتقده ، وهي تعمل على تسديده ، بالحجة العلمية ، وبالبرهان الموضوعي ، وقد دعت المسلمين للالتزام بها ، مناصرةً للحق ودحضاً للباطل ، فلم تكن موقوفة على طرفٍ دون آخر ولم تستأثر بها جهة دون أخرى ، بل هو الحق يودع عند من يشاء ، بشرط تأديته بأمانته العلمية ، وهذا ما عمل به المأمون هنا ، فمثّل جانباً من جوانب الدفاع عن الحق ، والتزام جانب الشرعية ، بغض النظر عن مذهبه ووجهة نظره ، لذا ظهر موقفه قوياً بديعاً ، وهو يتمسك بالبد依يات الحقّة ، وبأن ضعف مناظره ووهنه ، وهو يتوسل بأساليب ملتوية إبقاءً على نظراته التقليدية ، التي ورثها من قومه .

٧- كانت المناظرة حامية الوطيس ، فنَدّ بها المأمون أربعين فقيهاً قد فتح لهم باب الحوار واستخدم معهم أساليب المناظر ، لا أساليب الحاكم ، للوصول إلى صيغة مشتركة ونظرة موحدة ، وقد ناظروه وهم آمنون ، وحاججوه وهم طيبوا الخاطر للجو الذي أحدثه ، حيث احتفظ كل واحد بشخصيته كمناظر فقيه أمام خصمه العلمي ، لامتّهم ضعيف يمثل أمام الخليفة ، كل ذلك من أجل أحداث

نظرة جديدة للحدث الإسلامي وصياغة موضوعية لمجريات التاريخ الإسلامي ،
إلا أن الأربعين فقيهاً - وللأسف - تعاملوا مع خليفتهم تعاملًا لم يُحسدوا عليه ،
فكان تلقيهم لنتائج المناظرة الجادة بأسلوب بارد وتعاملٍ باهت ، وقد ختموا
مؤتمرهم العلمي هذا بأسلوبٍ منافقٍ رسمي ، وهو الدعاء للخليفة بحفظه وطول
عمره ، وكأن حجج المأمون اللاهبة القوية قد تعاملت مع صخرٍ أصم .

٨ - استطاعت حقائق الخلافة الشرعية أن تزحف إلى بلاط الخلافة العباسية
لتكتسح أمامها ما غرسته أعوام الثقافة العجاف التي حاول العباسيون من خلالها
تميع حقوق آل البيت والقفز من خلالها على مواقع الخلافة ، ودعم شرعية
الحكومة العباسية ، وإذا بحقائق الخلافة الشرعية تمتد لتضرب بأصولها الإلهية كل
ما قدمته الخلافة العباسية من ترتيبات لاختفاء حقائق الأحداث !

٩ - روى هذا الخبر إسحاق بن إبراهيم نفسه وذكر تفاصيل ما جرى بينه وبين
المأمون العباسي ، وقد ذكر جميع وقائعه وكيف كان يطرق برأسه عند تحييره
بالجواب ، وما استخدمه المأمون من حجج علمية وقضايا موضوعية ، فكانت
روايته للخبر هذا وجميع من تناقله وكتبه وتحدث به إقراراً على الراوي وال كاتب
والمحدث ، وقد تعارف في الفقه الإسلامي « أن الإقرار على نفس المقر حجة » ،
فكان إسحاق قد حج نفسه ، بنفسه وتبعه على ذلك حماد بن زيد راوي الحديث ،
وأقر بذلك ابن عبد ربه الأندلسي لنقله الحديث دون تعليق .

١٠ - يستخلص من هذه المناظرة ، أن قد أطاح المأمون العباسي بالشرعية
العباسية ، وفتح الآفاق للمعارضة العلوية أن تتحرك ضمن الدائرة الشرعية التي
أقرها المأمون ، ومهد الطريق للأيدلوجية العلوية من أن تأخذ بمواقع الصدارة في
صياغة الحدث الإسلامي العام ، مما أحدث شرخاً في الأيدلوجيات المطروحة

والبديلة عن الأيدلوجية العلوية ، وقد كانت مناظرته هذه وأمثالها إدانة لمن كان قبله وحجة على من جاء بعده من خلفاء العباسيين وغيرهم ، بل ستمثل أيضاً إدانة أكبر للمأمون نفسه حين لا يتمثل هذه المبادئ في سياسته ومبنياته .

١١ - شكّلت شخصية المأمون المزدوجة مدرسة خاصة ، لها معالمها وشخصيتها المستقلة ، وقد ميزتها من بين شخصيات خلفاء بني العباس ، مما حدى بالدراسات التاريخية التي تكفلت دراسة هذه الشخصية أن ترتبك في نظرتها العامة ، لذا ذهبت بعضها إلى إقحام المأمون العباسي ضمن مدرسة آل البيت ، وقد غفلت عن الفجوة التي كانت بينه وبين شخصيات آل البيت حتّى تم تنفيذ المسلسل التصفوي لرموز الشرعية الإلهية المتمثلة بالأئمة الأطهار على يده ، وتطرفت أخرى حتّى أنكرت معرفته بفضل آل البيت وعلو مقامهم عنده ، فحصل من هذا وذاك دراسة مضطربة ونظرة مشوشة لمدرسة المأمون المعقدة ، ولعل ما نذهب إليه سيسهم في تخفيف أزمة دراسة الشخصية المأمونية ، فالمأمون ولدته جارية فارسية تسمى مراجل ، وكان البيت العباسي ينظر إلى المأمون بأنّه ابن أمة وليس مولده كمولد أخيه الأمين الذي كان بين عباسيين ، فأبوه الرشيد وأمه زبيدة بنت المنصور العباسي ، فكان يتمتع بالنظرة الشريفة المحترمة والمرتبة الرفيعة التي تميّزه عن أخيه المأمون ، وقد خلقت هذه النظرة تعاملًا لا إرادياً من قبل العباسيين إزاء المأمون وشاركت في تهيئة الجو الذي عزل المأمون عن التقاليد والأعراف العباسية وأبعدته عن حساباتها البعيدة ، مما خلق من المأمون شخصية متمردة على بني قومه تبحث عن كل جديد يسهم في إقصاء شخصية بيته وشرعية وجودهم ، وذلك لإثارة انتباه بني أبيه لشخصيته المهملة ، فقد فتح عينيه على العداء التقليدي الذي تمتع به العباسيون لآل البيت عليه السلام ومحاولة إثبات شرعية الوجود العباسي في الخلافة ودفع العلويين عن مراتبهم

الطبيعية ، وافتخارهم على آل علي بالخلافة المغتصبة التي حملتهم على رقاب المسلمين ، لذا حاول المأمون إحداث تغيير جديد على أنقاض النظرة البالية ، فراح يدرس النظرية الإمامية بكل جوانبها ، فإستهوته شاباً قد تفتحت آفاقه على غير ثقافة البيت العباسي ..

لا يمكن تحديد دوافع هذه الثقافة ، والمؤرخون لم يحددوا موقفهم من هذه القضية عدا ما ذكره بعضهم أنه كان يتشيع أو معروفاً بتشيعه ، وسكتوا عن أسباب ذلك قال السيوطي: وكان [أي المأمون] معروفاً بالتشيع وقال: وفي سنة احدى ومائتين خلع أخاه المؤتمن من العهد وجعل ولي العهد من بعده علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، حملة على ذلك افراطه في التشيع .. راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٨٥.

وأحسب أن هذا الكلام الذي يكتنفه الغموض ، دفع بالمحققين بعد ذلك إلى التضارب في الآراء ولم يستقروا على مذهب واحد ، والسر في ذلك ان دوافع المأمون التثقيفية التي كسرت الطوق التقليدي لبني أبيه ، بقيت غامضة بشكل مقصود ، ولعل التاريخ أغفل ذلك لحقائق فكرية تدخلت فيها توجهات سياسية غير نزيهة تستهدف تطويق حالة اعتقادية يشعر بها رؤوس النظام إلا أنهم يخفونها في كوامن نفوسهم .

ولعل شعوراً قليلاً دعى المأمون أن يطلع على غير ثقافة قومه ، وهي دوافع وجدانية منحتة دفعةً خيرةً للتقصي عن حقيقة مجريات كثير من الوقائع التاريخية التي اختزنها «أرشيف وثائقي» أودعه الخلفاء في صدورهم ، ولم يظهروه لأسباب أمنية غير خافية ، ومحاذير عقائدية كثيرة .

تحسس المأمون أن بني هاشم حينما كانوا «أمراء الناس السياسيين» في وقت

من الأوقات ، قد أحسنوا لبني عمومهم العباسيين ، بعد أن استبعدتهم حكومة الشيخين ، والتي ينافح آباءُ العباسيين من أجلها اليوم ، ورأى أن علياً بقدر ما أحسن لبني العباس فإن آباءه قابلوا ابنائه بالاساءة والتنكيل .

إن «الثقافة المغلقة» التي انتهجتها الانظمة ومنها بني العباس ، لم تحل دون البحث عن الحقيقة فيما اذا توافرت مستلزمات البحث لدى الفرد مهما كان خطره ، فالوجدان النفسي غير المنهجية السياسية أحياناً والشعور غير التكتيك ، فلعل هواجس وجدانية تبعث على مخالفة ما انتهجه ذوو السلطان ، والشعور بالرأي الآخر خلاف ما تقتضيه السياسة من ترتيب الأعراف ، والمأمون مع كل ذلك هو صنيعه آباءه الحريصين على الملك والسلطان .

والمأمون لم يحجر عليه كالآخرين من العامة ليقراً الفكر الآخر ، فهو ابن الخليفة الذي أضحى يتلمذ على رجال الفقه والكلام ، وعلوم حوادث الزمان - ولعل تأثير خاصته عليه كجعفر البرمكي والفضل بن سهل وكلاهما كان لهما هوى في التشيع أن لم نقل يتشيعان^(١) - ، فرأى فيما يراه المتطلع إلى معرفة ما وراء ثقافته أن هناك شيئاً آخر يختفي خلف هذا التقليد «المقدس» !

هذه المقدمة لعلها تهدينا إلى دوافع المأمون ، فضلاً عن معاناة العزلة التي فرضها بيته العباسي - كما قدمنا - وتعامله على أنه ابن أمه ، كل ذلك خلق فيه روحاً تطلعية إلى غير ثقافة البيت الحاكم ، ولعل الخبر الذي أورده السيوطي سيعزز ما ذهبنا إليه :

(١) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية / الدولة العباسية - محمد الخصري بك : ١٨١ . ولعل ما يؤيد هذا الرأي هو البطشة المفاجئة التي قَتَلَ بها الرشيد بالبرامكة دون سابقة انذار ، ولا زالت تخفي أسبابها سوى الاحتمالات التي تصدّت لتفسيرها .

قال: اسند الصولي أن بعض آل بيته قالت: انك على بر أولاد علي بن أبي طالب والأمر فيك، أقدر منك على برهم والأمر فيهم، فقال: انما فعلت ما فعلت لان أبا بكر لما ولي لم يول أحداً من بني هاشم شيئاً، ثم عمر ثم عثمان كذلك، ثم ولي علي فولى عبدالله بن عباس البصرة، وعبيدالله اليمن ومعبداً مكة، وقثم البحرين، وما ترك أحداً منهم حتى ولاه شيئاً، فكانت هذه «منة» في أعناقنا حتى كافأته في ولده بما فعلت^(١).

ورأى من الحق في أطروحتها ما دعاه إلى إنصافها، عالماً طموحاً يريد أن يقرأ الحقيقة بعد كسر طوق العزلة الذي فرضه البيت العباسي على الأطروحة الإمامية من أن تُدرس أو تلقى نظرة بسيطة على بعض جوانبها، فراح يُحلّق في جو النظرية الإمامية وهي تعطيه من الجديد ما يلبي رغباته العلمية وطموحاته، وتستجيب إلى وجدانه وفطرته كأنسانٍ يتمرد على واقعه المزيف.. لكن ليس هذا وحده ما انطوى عليه سرّ المأمون، الذي لم يفته أن انسياق بلاد فارس وراء الدعوة العباسية إنما كان انسياقاً وراء شعارها الذي كانت ترفعه آنذاك وهو «طلب الرضا من آل محمد» وهو أقدر اليوم على تجديد هذا الشعار لأجل الإطاحة بأخيه الأمين المنافس له والمقدم عليه في الخلافة، فنجح في الإطاحة بأخيه الأمين واستولى على الخلافة وهو لا يزال يُعلن أحقية آل البيت، فأرسل على الأمام الرضا عليه السلام وعقد ولاية العهد له على رغم امتناع الإمام من قبولها.

ولكنّه بعد أن استقرّ به مقام الخلافة وقع فريسة لمطامعه السياسية وطموحه في الحكم وكانت حاشيته التي تحيطه متمثلة في فريق عمل سياسي ماهر يطمح للاستيلاء على كل شيء، فاستعمل الأساليب المبتذلة من أجل تثبيت قدم

المأمون في الحكم وراح بعد ذلك يُقدّم للمأمون عروضة التصفوية لإقضاء الإمام الرضا عليه السلام من منصبه الرسمي وقتله خوف توجه الأنظار إلى الشرعية العلوية ، مما يمهّد لها أن تأخذ مكانها في الحدث الإسلامي ، حتّى تورط في تنفيذ مؤمراته الخبيثة بقتل الإمام والاعتذار بأن موته كان طبيعياً !-

لقد عاجلت المأمون مطامعه السياسية دون أن ينفذ ما أخذه على نفسه من أحقية آل البيت في الخلافة ، واستهوته مناصب الحكم وظهر أخيراً على حقيقته من خبث السريرة وما طبع عليه من الطموح السياسي الذي ورثه من آبائه ، وأطاح بالنظرة القائلة أن المأمون في عداد القائلين بمذهب آل البيت وقد أسهم الإمام الرضا عليه السلام مبكراً في كشف هذه الصورة ونبّه إليها من خلال رفضه ما عرضه المأمون عليه من ولاية العهد لعلمه بما حمله من أهداف في مكنون نفسه ، وبعدم مصداقيته كشيعة يعترف بإمامة آل البيت ، والأليس من دأب الشيعة أو خلقه أن يتجرأ على إمامه بتهديده إن لم يقبل بما عرضه عليه ، وليس من دأب الإمام أن تُعرض عليه الخلافة وهو يرفضها بعد كونه أهلاً للخلافة الله في أرضه ، فما الذي يمنع الإمام عليه السلام من أخذ حقه من الخلافة المغتصبة لو عرف بصدق نوايا المأمون وواقعيته ؟ لذا اسهمت جملة من الأحداث في خلق شخصية المأمون السياسية المعقدة ، فجمع بين حبه للشرعية الإلهية المتمثلة بآل البيت كانسان مجرد عن كل دافع ، وبين حبه للحكم وطموحه ، كسياسي محترف يُلبّي رغباته ومطامعه .



المحسن بن صلاح الدين الأيوبي

ذكره في طبقات أعلام الشيعة أنه من الشيعة ، هو وأخوه عليّ . وحكى عن الذهبي أنه قال : المحسن بن صلاح الدين كان شيعياً^(١) .

وقد ذكرنا في عليّ بن الصلاح الدين الأيوبي ما ينفع في المقام .



محمّد بن أبي بكر بن قحافة رضوان الله تعالى عليه

يتنسّب إلى أبي بكر ولادةً، وينتمي إلى أمير المؤمنين عليه السلام معرفةً.

قال ابن حجر: ولد عام حجة الوداع.. قدم مصر أميراً عليها من قبل علي بن أبي طالب وجمع له صلاتها وخراجها، فدخل في رمضان سنة (٢٧)، وقيل في صفر سنة (٣٨). قتل يوم المسناة لما انهزم المصريون.

قال ابن عبد البر في الاستيعاب: كان عليّ يُثني عليه ويفضّله؛ لأنّه كانت له عبادة واجتهاد، وكان على رجالة عليّ يوم صفّين ^(١).

كان على درجة عالية من المعرفة بإمام زمانه، ومرتبة عظيمة من الولاء من أجل مبدأه، متنكراً لعلقة النسب من أجل عقديته وإيمانه.

ففي صحيحة زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام: «إنّ محمّد بن أبي بكر بايع عليّاً عليه السلام على البرائة من أبيه» ^(٢).

والبراءة من أبيه تعني تحرّره من تقليدية التبعية التي يُبتلى بها غيره، فمحمّد بن أبي بكر لم يراع ما عليه الناس من عصبية النسب بقدر ما راعى رضوان الله عليه انتمائه المعرفي وتكليفه الشرعي تجاه دينه وعقيدته التي انتمى إليها. لذا عبّر عنه

(١) تهذيب التهذيب - ابن حجر ٩ : ٨٠.

(٢) معجم رجال الحديث ١٤ : ٢٣٠.

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بقوله :

«كان عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر لا يرضيان أن يعصى الله عز وجل»^(١).

ولعل اقتران محمد بن أبي بكر مع عمار بن ياسر لشابه موقفيهما في صلابة الإيمان وقوة الحق اللتان امتازا بهما رضوان الله عليهما.

نقل ابن أبي الحديد نعي علي عليه السلام لمحمد بن أبي بكر ، مما يدل على منزلة محمد وعظيم قدره عنده عليه السلام ، قال عليه السلام : «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مِصْرَ قَدْ افْتَتِحَتْ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَدْ اسْتَشْهَدَ، فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَدًا نَاصِحًا، وَعَامِلًا كَادِحًا، وَسَيَقًا قَاطِعًا، وَرُكْنًا دَافِعًا. وَقَدْ كُنْتُ حَتَّيْتُ النَّاسَ عَلَى لِحَاقِهِ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوُقْعَةِ، وَدَعَوْتُهُمْ سِرًّا وَجَهْرًا، وَعَوْدًا وَبَدَاءً، فَمِنْهُمْ الْآتِي كَارِهَا، وَمِنْهُمْ الْمُغْتَلُّ كَاذِبًا، وَمِنْهُمْ الْقَاعِدُ خَاذِلًا. أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجًا عَاجِلًا؛ فَوَاللَّهِ لَوْلَا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ، وَتَوَطُّيْنِي نَفْسِي عَلَى الْمَنِيَّةِ، لَأَخْبَيْتُ أَلَّا أَلْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْمًا وَاحِدًا، وَلَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَدًا»^(٢).

ومن المفيد ذكر ما بعثه محمد بن أبي بكر برسالة إلى معاوية بن أبي سفيان ، وما ورد عليه معاوية ؛ ليتسنى من خلال ذلك معرفة بعض الملابس التي يمكن من خلالها الاهتداء إلى سياسات السلف وتوجهاتهم ، وبذلك سوف يتم بسبب ذلك تأسيس رؤية جديدة في هذا المضمار . روى ابن أبي الحديد عن نصر بن مزاحم في كتابه صفين ما أرسله محمد بن أبي بكر إلى معاوية ، وهذا نصه :

سلام على أهل طاعة الله ممن هو سلم لأهل ولاية الله ، أما بعد :

(١) معجم رجال الحديث ١٤ : ٢٣٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة ١٦ : ١٤٥ ، الخطبة ٣٥ .

فإن الله بجلاله وعظمته ، وسلطانه وقدرته ، خلقَ خَلْقاً بلا عيب منه ، ولا ضعف في قوّته ، ولا حاجة به إلى خَلْقهم ؛ ولكنّه خَلَقهم عبيداً ، وجعل منهم شقيّاً وسعيداً ، وغوياً ورشيداً .

ثم اختارهم على عِلْمِهِ ، فاصطفى وانتخب منهم محمداً صَلَّى الله عليه وآله ، فاختصّه برسالته ، واختاره لوحيه ، واثمنه على أمره ، وبعثه رسولاً مصداً لما بين يديه من الكتب ، ودليلاً على الشرائع ، فدعا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة .

فكان أوّل مَنْ أجاب وأجاب ، وآمن وصدّق ووافق ، فأسلم وسلّم أخوه وابن عمّه عليّ بن أبي طالب ، فصدّقه بالغيب المكتوم ، وأثّرهُ على كلّ حميم ، ووقاه كلّ هَوًى ، وواساه بنفسه في كلّ خوف ؛ فحارب حزبه ، وسالم سلّمه ، فلم يبرّخ مبتذلاً لنفسه في ساعات الأزل ، ومقامات الرُّوق ، حتى برّز سابقاً لا نظير له في جهاده ، ولا مقارب له في فعله . وقد رأيته تساميه ، وأنت أنت ، وهو هو السابق المبرّز في كلّ خير ؛ أوّل النّاس إسلاماً ، وأصدق النّاس نيّة ، وأطيب النّاس ذُرّيّة ، وأفضل النّاس زوجة ، وخير النّاس ابن عمّ ، وأنت اللعين ابن اللعين ، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل ، وتجتهدان في إطفاء نور الله ، وتجمعان على ذلك الجموع ، وتبذلان فيه المال ، وتحالفان في ذلك القبائل ، على هذا مات أبوك ، وعلى ذلك خَلَفْتَهُ ، والشاهد عليك بذلك مَنْ يَأْري ويلجأ إليك ، من بقيّة الأحزاب ، ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله صَلَّى الله عليه وآله . والشاهد لعليّ مع فضله المبين وسابقته القديمة أنصاره الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن ففضّلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار ، فهم معه كتاب وعصائب ، يجالدون حوله بأسيا فهم ، ويهريقون دماءهم دونه ، يرون الفضل في اتّباعه ،

والشُّقَاق والعصيان في خلافه، فكيف - يا لك الويل - تعدِّل نفسك بعليّ، وهو وارث رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ووصيّه وأبو ولده، وأوَّل النَّاس له اتِّباعاً، وأقربهم به عهداً، يخبره بسرّه، ويشركه في أمره، وأنت عدوّه وابن عدوّه. فتمتّع ما استطعتَ في دنياك بباطلك، وليمددك ابن العاص في غوايتك، فكأنَّ أجلك قد انقضى، وكيدك قد وهى، وسوف تستبين لمن تكون العاقبة العليا، واعلم أنَّك إنّما تكايد ربّك الذي قد أمِنْتَ كيده، وأيسنّت من روحه، وهُوَ لك بالمرصاد، وأنت منه في غرور. وبالله وبأهل بيت رسوله عتك الغناء، والسلام على من اتَّبِع الهدى.

وبهذه المعارف التي تضمّنت رسالة محمد بن أبي بكر نقرأ مدى معرفته وولائه لأهل البيت (عليه السلام)، وسنقرأ ما أجابه معاوية من حقائق، مضافاً إلى مغالطات تبريرية اعتذارية واهية.

من معاوية بن أبي سفيان إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر. سلام على أهل طاعة الله، أمّا بعد: فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه، وما أصفى به نبيّه مع كلام كثير ألفته ووضعت له رأيك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف، ذكرت فيه حقّ ابن أبي طالب، وقديم سابقته وقربته من نبيّ الله، ونصرته له، ومواساته إيّاه، في كلّ هَوَل وخوف، واحتجاجك عليّ، وفحرك بفضل غيرك لا بفضلك، فاحمد إلهاً صرف ذلك الفضل عنك، وجعله لغيرك، فقد كنّا وأبوك معنا في حياة نبيّنا نعرف حقّ ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرراً علينا^(١). فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده، وأتمّ له ما وعدّه، وأظهر دعوتّه،

(١) اعتراف صريح، وإقرار خطير من معاوية بن أبي سفيان في معرفة حقّ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وتقدّمه على الجميع. فكانوا لا يجهلون مقامه، ولا يغفّون عن منزلته.

وأفلج حُجَّتَهُ، قبضه الله إليه فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزّه، وخالفه على ذلك اتّفقاً واتّسقا^(١)، ثمّ دَعَوَاهُ إلى أنفسهما فأبُطَأَ عنهما^(٢)، وتلَكَا عليهما، فهَمَّا به الهموم، وأرادا به العظيم^(٣)، فبايعهما وسلّم لهما، لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرّهما حتى قُبِضَا وانقضى أمرهما، ثمّ أقاما بعدهما ثالثهما عثمان بن عفّان، يهتدي بهديهما، ويسير بسيرتهما، فعبته أنت وصاحبك، حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي، وبطشتما وظهرتما، وكشفتما له عداوتكما وغلّكُما، حتى بلغتما منه مُناكما. فخذ حذرَكَ يابن أبي بكر، فسترى وبأل أمرَكَ، وقِسْ شبرَكَ بفترك، تقصّر عن أن تساوي أو توازي من يَزِلُّ الجبال حلمه، ولا تَلِينْ على قَسْرِ قَنَاتِهِ، ولا يُدْرِكَ ذُو مَدَى أناته، أبوك مهّد له مهادةً، وبَنَى مُلكه وشادّه، فإن يك ما نحن فيه صواباً فأبوك أوله، وإن يك جوراً فأبوك أسّه، ونحن شركاؤه، فبهْذِهِ أخذنا، وبفعله اقتدينا، رأينا أباك فعل ما فعل، فاحتدينا مثاله، واقتدينا بفعله، فعبْ أباك بما بدا لك، أو دَع، والسلام على من أناب ورجع من غوايته وتاب^(٤).

تُعَدُّ هاتين الرسالتين وثيقتان تكشفان لنا مفاهيم عدّة تساهم إلى حدّ ما في

(١) إقرار معاوية على غضب الشيخين لحقّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام في خلافته لرسول الله ﷺ.

(٢) اعتراف من معاوية أنّ عليّاً عليه السلام لم يكن مبايعاً لأبي بكر، وإذا بايع فعن إكراه.

(٣) أي أراد قتله وتصفيته، وهو ما يذهب إليه المؤرّخون من الفريقين أنّ عمر بن الخطّاب قد هجم على بيت عليّ بن أبي طالب عليه السلام لأخذ البيعة عنوة، فأسقطت فاطمة عليها السلام حملها عند الباب في واقعة مروّعة يذكرها أهل التاريخ من الفريقين، وراجع كتابنا موسوعة أدب المحنة ليثبت لك اعترافات الفريقين في الهجوم على دار عليّ عليه السلام وترويع فاطمة عليها السلام، وإسقاطها جيننها.

(٤) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ٣: ١٨٨.

تبنّي رؤية حقيقيّة لواقع الحدث الإسلامي ، وتتيح للباحث أن يستلهم مجريات الأحداث دون أن تتدخل الرؤى الخاصّة والاجتهادات الفردية في تفسير الحدث وقراءته ، وينبغي أن تستوقفنا الرسالتان عند أمور :

أولاً: أنّ محمد بن أبي بكر من خلال رؤيته ومنهجه المبين لأبيه يعترف بما ورد في رسالة معاوية من إشكالاته على مواقف الشيخين ، بل تُعدّ رسالة معاوية تأييداً لمنهج محمد بن أبي بكر ، وما هو عليه من التولّي لعلّي بن أبي طالب ، والاعتراف بأحقّيته ، بل التأكيد على ما التزمه محمد من رؤيته وقناعاته ، فرسالة معاوية تقوّي حجة محمد بن أبي بكر ، وتدين معاوية بن أبي سفيان .

ثانياً: اعتراف معاوية بأفضليّة عليّ بن أبي طالب بقوله : نرى حقّ ابن أبي طالب لازماً لنا ، وفضله مبرّزاً علينا... وهذه دلالة واضحة على بيان الحقّ ومعرفته لدى معاوية ، وكذلك لدى الشيخين ، وأنهم لم ينطلقوا في تمردهم على عليّ بن أبي طالب عليه السلام من جهلٍ للواقع بقدر ما هي حالة تسابقٍ سياسي ، وتمرّدٍ على ثوابت ومفاهيم الخلافة الإلهيّة .

ثالثاً: امتداد خطّ الشيخين إبان عهد عثمان ، وما عثمان إلّا منفذ لسياستهما ؛ وذلك عند قوله : ثمّ أقاما عثمان بن عفّان يهتدي بهديهما ، ويسير بسيرتهما ...

ممّا يدلّ على أنّ عثمان قد انتهج نهج الشيخين ، وقد عبّرت الأمة عن رفضها لهذا النهج فعكسته في الثورة على عثمان ومن ثمّ مقتله ، وهذا دليل على رفض منهج الشيخين ، والمسلمون لا يستطيعون التعبير عن رفضهم تحت قوّة السيف التي كانت العلامة الفارقة لحكومة الشيخين بعد عهد النبوة الذي أفاء العدل والسلام على المسلمين ، والتعبير عن الرأي واحترامه من قبل النبي ﷺ في حين كان عهد الشيخين حالة متوجّسة من التعبير عن أي رأي آخر يُعدّ معارضاً لهما

-وكانت أحداث أخذ البيعة شاهدةً على الظرف السياسي المشحون وما ذكره ابن قتيبة في الإمامة والسياسة عند هجوم القوم على بيت فاطمة عليها السلام دليل ذلك التوثر السياسي الحذر- وإذا كان الأمر كذلك فمتى يستطيع المسلمون أن يعبروا عن رفضهم لسياسات الشيخين. نعم، حينما وجد المسلمون إبان عهد عثمان متنفساً للتعبير عن رأيهم استطاعوا ذلك بترجمتهم في الاعتراض ضده، والثورة عليه، وتصفيته عند ذلك.

وما رواه موسى بن مصعب، عن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «ما من أهل بيت إلا ومنهم نجيب من أنفسهم، وأنجب النجباء من أهل بيت سوء محمد بن أبي بكر»^(١).

وقد نسب العلامة المقامقاني هذه الأبيات له:

يا أبانا قد وجدنا ما صلح	خاب من أنت أبوه وافتضح
إنما أنقذني منك الذي	أنقذ الدرّ من الماء الملح
يا بني الزهراء أنتم عدّتي	وبكم في الحشر ميزاني رجح
وإذا صحّ ولائي فيكم	لا أبالي أي كلب قد نبج ^(٢)



محمّد بن أبي حذيفة الأموي

(ابن خال معاوية بن أبي سفيان)

هو محمّد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس .

قُتل سنة (٣٦) ، وهو ابن خال معاوية بن أبي سفيان .

قال الكشيّ : حدّثني نصر بن صباح قال : حدّثني أبو يعقوب إسحاق بن محمّد البصري ، قال : حدّثني أمير بن عليّ ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام ، قال : « كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : إنّ المحامدة تأتي أن يعصى الله عزّ وجلّ » ، قلت : ومن المحامدة ؟ قال : « محمّد بن جعفر ، ومحمّد بن أبي بكر ، ومحمّد بن أبي حذيفة ، ومحمّد ابن أمير المؤمنين عليه السلام » .

وأخبرني بعض رواة العامة عن محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني رجل من أهل الشام ، قال : كان محمّد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، ومن أنصاره وأشياعه ، وكان ابن خال معاوية ، وكان رجلاً من خيار المسلمين ، فلمّا توفي عليّ عليه السلام أخذه معاوية وأراد قتله ، فحبسه في السجن دهرًا ، ثمّ قال معاوية ذات يوم : ألا نرسل إلى هذا السفية محمّد بن أبي حذيفة فنبكته ونخبره بضلّالته ، ونأمره أن يقوم فيسبّ عليّاً ؟ قالوا : نعم ، قال : فبعث إليه معاوية وأخرجه من السجن ، فقال له معاوية : يا محمّد بن أبي حذيفة ، ألم يأن

لك أن تبصر ما كنت عليه من الضلالة بنصرتك عليّ بن أبي طالب الكذاب ، ألم تعلم أنّ عثمان قتل مظلوماً ، وأنّ عائشة وطلحة والزبير خرجوا يطلبون بدمه ، وأنّ عليّاً هو الذي دسّ في قتله ونحن اليوم نطلب بدمه ؟

قال محمّد بن أبي حذيفة : إنك لتعلم أنّي أمسّ القوم بك رحماً ، وأعرفهم بك ، قال : أجل ، قال : فوالله الذي لا إله إلاّ غيره ، ما أعلم أحداً شرك في دم عثمان ، وآلب الناس عليه غيرك لمّا استعملك ، ومَن كان مثلك ، فسأله المهاجرون والأنصار أن يعزلك فأبى ، ففعلوا به ما بلغك ، والله ! ما أحد اشترك في قتله بدءاً وأخيراً إلاّ طلحة والزبير وعائشة ، فهم الذين شهدوا عليه بالعظيمة ، وآلبوا عليه الناس ، وشركهم في ذلك عبدالرحمن بن عوف وابن مسعود وعمّار والأنصار جميعاً ، قال : قد كان ذلك ؟ قال : إي والله ، وإنّي لأشهد أنّك منذ عرفتك في الجاهليّة والإسلام لعلّى خلّقت واحد ، ما زاد الإسلام ما فيك لا قليلاً ولا كثيراً ، وأنّ علامة ذلك فيك لبينة ، تلومني على حبّي عليّاً ، خرج مع عليّ كلّ صوّام قوام ، مهاجري ، أنصاري ، وخرج معك أبناء المنافقين والطلقاء والعتقاء ، خدعتهم عن دينهم وخدعوك عن دينك . والله يا معاوية ، ما خفي عليك ما صنعت ، وما خفي عليهم ما صنعوا ؛ إذ أحلّوا أنفسهم بسخط الله في طاعتك ، والله ! لا أزال أحبّ عليّاً لله ولرسوله ، وأبغضك في الله وفي رسوله أبداً ما بقيت ، قال معاوية : وإنّي أراك على ضلّالك بعد ، ردّوه ، فمات في السجن^(١) .

على أنّ محمّد بن أبي حذيفة هذا قد ربّاه عثمان بن عفّان بعد قتل والده ، فكفله إلى أن كبر ، ثمّ صار إلى مصر ، فصار من أشدّ الناس تأليباً على عثمان^(٢) .

(١) معجم رجال الحديث ١٤ : ٢٣٥ .

(٢) تنقيح المقال ٢ : ٥٩ .

ومعنى هذا أن محمداً لم تتملكه عصبية الانتساب بقدر قناعاته في عدم سلامة نهج عثمان وخطئه ، وهو لم يلتزم بمقتضيات القبليّة بقدر ما التزم بإيمانه للشرعية المتمثلة في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وهو لم تأخذه في ذلك لومة لائم ، معتزلاً سلطان أهله ، وثروة ذويه ، مؤثراً الانتماء لعليّ والانتساب إليه .



معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

هو معاوية بن يزيد بن معاوية .

لا يخفى انحراف يزيد وقتله سيد شباب أهل الجنة الحسين عليه السلام ، وانتزاعه على مقاليد الخلافة دون أن يرتضيه أحد من المسلمين ، عدا ما أوهمه معاوية من مبايعة المسلمين له ، وقد نقل أرباب التاريخ في ذلك مطولات عن محاولات معاوية في إجبار وتهديد وإغراء بعضهم في مبايعته على ما زعم .

روى الدميري كمال الدين محمد بن موسى في حياة الحيوان الكبرى :
أن معاوية بن يزيد لما خلع نفسه صعد المنبر فجلس طويلاً ، ثم حمد الله وأثنى عليه بأبلغ ما يكون من الحمد والثناء ، ثم ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأحسن ما يُذكر به ، ثم قال : أيها الناس ، ما أنا بالراغب في الائتمار عليكم لعظيم ما أكرهه منكم ، وإني لأعلم أنكم تكرهوننا أيضاً ؛ لأننا بئلينا بكم وبئلتم بنا ، إلا أن جدّي معاوية قد نازع في هذا الأمر من كان أولى به منه ومن غيره ؛ لقربته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعظم فضله وسابقته ، أعظم المهاجرين قدراً ، وأشجعهم قلباً ، وأكثرهم علماً ، وأولهم إيماناً ، وأشرفهم منزلةً ، وأقدمهم صحبةً ، ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وصهره ، وأخوه ، زوجته صلى الله عليه وآله وسلم ابنته فاطمة ، وجعله لها بعلاً باختياره لها ، وجعلها له زوجة باختيارها له ، أبو سبطيه سيدي شباب أهل الجنة ، وأفضل هذه الأمة ، تربية الرسول ، وابني فاطمة البتول ، من الشجرة الطيبة الطاهرة الزكية ، فركب جدّي منه

ما تعلمون ، وركبتم معه ما لا تجهلون ، حتى انتظمت لجدي الأمور ، فلما جاءه القدر المحتوم ، واخترمته أيدي المنون بقي مرتهاً بعمله ، فريداً في قبره ، ووجد ما قدّمت يده ، ورأى ما ارتكبه واعتداه ، ثم انتقلت الخلافة إلى يزيد أبي ، فتقلّد أمركم لهوى كان أبوه فيه ، ولقد كان أبي يزيد بسوء فعله ، وإسرافه على نفسه غير خليق بالخلافة على أمة محمد ﷺ ، فركب هواه ، واستحسن خطاه ، وأقدم على ما أقدم من جراته على الله ، وبغيه على من استحلّ حرمة من أولاد رسول الله ﷺ ، فقلّت مدّته ، وانقطع أثره ، وضاجع عمله ، وصار حليف حفرتة ، رهين خطيئته ، وبقيت أوزاره وتبعاته ، وحصل على ما قدّم ، وندم حيث لا ينفعه الندم ، وشغلنا الحزن له عن الحزن عليه ، فليت شعري ماذا قال ، وماذا قيل له ؟ هل عوقب بإساءته ، وجُوزي بعمله ؟ وذلك ظني ، ثم اختنقته العبرة ، فبكى طويلاً ، وعلا نحيبه ، ثم قال : وصرت أنا ثالث القوم ، والساخط عليّ أكثر من الراضي ، وما كنت لأتحمل أثامكم ، ولا يراني الله جلّت قدرته متقلّداً أوزاركم ، وألقاه بتبعاتكم ، فشأنكم أمركم فخذوه ، ومن رضيتم به عليكم فولّوه ، فلقد خلعت بيعتي من أعناقكم ، والسلام .

قال الدميري : ثم نزل فدخل عليه أقاربه وأمه فوجوده يبكي ، فقالت له أمّه : ليتك كنت حيضة ولم أسمع بخبرك ، فقال : وددت والله ذلك ، ثم قال : ويلى إن لم يرحمني ربّي .

ثم إن بني أمية قالوا لمؤدّبه عمر المقصوص : أنت علّمت هذا ولقّنته إياه ، وصددته عن الخلافة ، وزيّنت له حبّ علي وأولاده ، وحملته على ما وسمنّا به من الظلم ، وحسّنت له البدع ، حتى نطق بما نطق ، وقال ما قال ، فقال : والله ما فعلته ، ولكنّه مجبول ومطبوع على حبّ عليّ ، فلم يقبلوا منه ذلك ، وأخذوه

ودفنه حيناً حتى مات^(١).

وروى المسعودي أن معاوية بن يزيد عليه السلام حين عاتبته أمه على تخليه عن الخلافة فقال: أتفوز بنو أمية بحلاوتها وأبوء بوزرها ومنعها أهلها؟ كلا، إني لبريء منها^(٢).

ونقل المقدسي في البدء والتاريخ بعضاً من خطبة معاوية بن يزيد هكذا:
 إنا بُلينا بكم، وابتليت بنا، وأن جدي معاوية نازع الأمر من كان أولى به وأحق،
 فركب منه ما تعلمون حتى صار مرتهناً بعمله، ثم تقلده أبي، ولقد كان غير خليق
 به، فركب ردعه، واستحسن خطاهه، ولا أحب أن ألقى الله بتبعاتكم، فشأنكم
 وأمركم، ولوه من شئتم، فوالله! لئن كانت الخلافة مغنماً لقد أصبنا منها حظاً،
 وإن كانت شراً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها^(٣).

والبعض نقل الخطبة كما وردت عن الدميري، إلا أنه زاد فيها كلامه هكذا:
 إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه، وقبح منقلبه، وقد قتل عترة
 الرسول، وأباح الحرمه، وحرّق الكعبة، وما أنا المتقلدُ أموركم، ولا المتحمّل
 تبعاتكم، فشأنكم أمركم، فوالله! لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظاً،
 وإن تكن شراً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها^(٤).

ونقل الخطبة ابن العبري في تاريخ مختصر الدول^(٥).

تعدّ خطبة معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وثيقة مهمّة في كشف

(١) حياة الحيوان الكبرى - الدميري ١: ٨٨.

(٢) مروج الذهب - المسعودي ٣: ٨٥.

(٣) البدء والتاريخ ٥: ١٦.

(٤) تاريخ البعقوبي ٢: ١٦٩.

(٥) تاريخ مختصر الدول - ابن العبري: ١١١.

حقيقة الحكم الأموي وعدم مشروعيته، وكونه نظاماً متسلطاً بقوة السيف، وليس حكماً إلهياً يتمتع بمقومات الخلافة الشرعية، أي أن موروثاً سلطوياً يمتلكه النظام الأموي من السقيفة التي مارست عملياتٍ قسرية في فرض فكرة الخلافة، وكون هذه الخلافة لا تعني إلا الغلبة والغيلة، بل سحق وتجاوز مسلمات بديهة تعارف عليها المسلمون، واستقرت على ذلك كلمتهم.

ظاهرة معاوية بن يزيد:

يحق لنا أن نطلق على هذا المقطع التاريخي من الخلافة الإسلامية بـ (الظاهرة)، وحيث إنها حالة متشخصة في التاريخ السياسي الإسلامي، وكونها تتفرد في ممارسة التعبير عن واقع سياسي مرير، ومن ثم فهي تعبير عن رأي ينبع من صميم معاناة أمة، إضافة إلى أن تحرر معاوية بن يزيد من تقليدية العصبية القبليّة تُعدّ ظاهريته إنجازاً مهماً على مستوى بيان الحقائق التاريخية، وإمكانية محاكمة التشكيلات السياسية الأخرى المدّعية للخلافة في عرض الخلافة الشرعية.

على أن دعاوى العدل والإنصاف التي تقمصها بعض خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس تُحاكم على أساس المقطع التاريخي هذا؛ وهو ما يسمّى (بظاهرة) معاوية بن يزيد بن أبي سفيان.

فعدالة عمر بن عبدالعزيز التي ينظر إليها البعض نظر إكبار تتلاشى عند ظاهرة معاوية بن يزيد، فعمر بن عبدالعزيز مجرّد تعديّه على منصب الخلافة مع وجود الإمام زين العابدين (عليه السلام) يُعدّ ذلك انتهاكاً لمبادئ العدل التي كان عمر بن العزيز يدّعيها.

وفقدان خلافته للشرعية يُمثل أقصى حالات السطو والابتزاز، فمتى -والحال

هذه- يستطيع أن يطبق مبادئ العدل وهو بعد لم يُنصف أصحاب الحق في الخلافة؟ وعندها لا تنفع أية محاولة يدّعيها البعض لتحسين صورة النظام الأموي من خلال شخصية عمر بن عبدالعزيز (وعدالته) المدّعاة.

فمعاوية بن يزيد يعلن عن عدم مشروعية خلافة سلفه كونها في عرض الشرعية الإلهية المتمثلة بالإمام علي بن الحسين عليه السلام، بل محاولة إعلان غصبية الخلافة والتشهير بجده وأبيه، ومن ثمّ الإشارة إلى أنّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام يمثل الخلافة الحقّة؛ نقطة تحوّل في العقلية الإسلامية، بل نقطة تحوّل حتّى على مستوى الفكر الإنساني، بعد أن تُلغى «الأنا»، وتحرّر الذات من عقدة الانتساب الأسري إلى آفاق الانتساب المعرفي، فدوافع معاوية بن يزيد الشاب الذي لم يتجاوز الثامنة عشر- أو الثالثة والعشرين على رواية أخرى- تدفعه دواعي طموحاته إلى استغلال الجاه والمنصب الذي يأتيه وراثته دون عناء، يفرض عليه التكرّر لأبسط الحقوق الأخلاقية التي يتمتع بها الفرد العادي قبل أن يتلذذ بحلاوة المنصب، وإذا مارس مترفات الجاه والمنصب تغيّرت موازين أخلاقيته الإنسانية، واستشرف إلى طموحات رغباته على حساب أي قيم ومبادئ. إلّا أنّ معاوية بن يزيد ينتزع نفسه من هذه التقليدية (الإنسانية) انتزاعاً، ويزهد في معطيات منصبه هذا، بل هو يذهب إلى أبعد من ذلك، فهو يغامر حتّى في حياته بعد أن يعرف هوى آل أبي سفيان في رغبتهم الجامحة للاستئثار بالمنصب والجاه، وهو الآن يحاول نقل هذه السلطة إلى بني هاشم المناوئين لهم، خصوصاً والإمام علي بن الحسين عليه السلام يمثل مظلومية آل البيت عليهم السلام، بعد أن تعرّضوا للتصفية خصومهم الأمويين، واليوم معاوية بن يزيد يعلن للملأ عن أحقية خصوم الأمويين ومناوئتهم، وبعد ذلك فهي محاولة لفضح مدّعيات النظام وإظهار مخالفته لأبسط القيم الإنسانية، فضلاً عن الشرعية التي حاولت التشبّث بها.

روى العلامة المامقاني عن تاريخ حبيب السير أنه تخلف -أي معاوية بن يزيد- أياماً قلائل، ثم صعد المنبر وخلع نفسه، ثم قال في كلامه: أيها الناس، قد نظرتُ في أموركم وفي أمري، فإذا أنا لا أصلح لكم، والخلافة لا تصلح لي؛ إذ كان غيري أحقَّ بها مني، ويجب عليّ أن أخبركم به، هذا عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام زين العابدين، ليس يقدر طاعن أن يطعن فيه، وإن أردتموه فأقيموه، على أنني أعلم أنه لا يقبلها^(١).

من هنا نجد أن معاوية بن يزيد بن معاوية يتبنّى خط أهل البيت عليهم السلام، ويعترف بأحقّيتهم، وينوّه بمشروعيتهم، وهذا يعني أنه رضوان الله عليه لم يكن قد تخلى من منصبه ضعفاً، ولا تركه وهناً، وإنما كانت قناعاته في أهل البيت عليهم السلام تدفعه إلى تبني قضيتهم صلوات الله عليهم.

ولعلّ أحدنا يتساءل: إذا كان معاوية بن يزيد يؤمن بمشروعيّة أهل البيت عليهم السلام فإننا لم نجد له أي نشاطٍ يذكر في التعامل معهم، أو التعاطي مع وجودهم المتمثل بالإمام زين العابدين عليه السلام، بل نجده بعيداً عنهم حتّى إنّ أحدهم لم يصرّح بموقفه هذا ويثني عليه قبولاً وترحماً.

ولنا أن نجيب على ضوء تاريخ معاوية بن يزيد وكيفيّة تعامل الأمويّين معه في كتم أنفاسه وحبسها، ومن ثمّ معالجة تصفيته فوراً لئلا تقوى دعوته هذه، وتستفحل في الذهنيّة العامّة.

فإذا رجعنا إلى حيثيات مصرعه علمنا أنّ بني أميّة لم يرقهم بقاءه بعد ما أعلن عن مشروعيّة أهل البيت عليهم السلام في الخلافة، وأنّ آل أبي سفيان غاصبون معتدون، فقد نقل المسعودي عن كيفيّة موت معاوية بن يزيد ما تنازع

فيه المؤرخون، فقال:

وقد تنوزع في سبب وفاته، فمنهم من رأى أنه سقي شربةً، ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه، ومن رأى أنه طعن. وقبض وهو ابن اثنين وعشرين سنة، ودُفن بدمشق، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ليكون الأمر له من بعده، فلما كبر الثانية طعن فسقط ميتاً قبل تمام الصلاة، فقدّم عثمان بن عتبة بن أبي سفيان، فقالوا: نبايعك؟ قال: على أن لا أحارب ولا أباشر قتلاً، فأبوا ذلك عليه، فصار إلى مكة، ودخل في جملة ابن الزبير^(١).

هذه هي احتمالات مقتله حسبما اختلف فيها المؤرخون، ونحن وإن كنّا نعرف منشأ هذا الاختلاف وأسبابه، إلّا أننا نرجح تصفية معاوية بن يزيد، سواء كانت طعناً أو سماً؛ وذلك لأمر:

أولاً: سيرة الأمويين على تصفية خصومهم فيما إذا احتملوا تهديد مستقبلهم السياسي، وقد فعلوا بمن قبلهم من أئمة أهل البيت عليه السلام، قتل الإمام علي عليه السلام -الذي يرجع مقتله في حقيقة الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان، ولذلك بحث آخر لا نريد خوضه- وتصفية الإمام الحسن عليه السلام بالسّم، ومصرع الإمام الحسين عليه السلام في المجزرة الدامية التي ارتكبتها يزيد بن معاوية، وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ تصفية معاوية بن يزيد وإنهائه أولى؛ إذ يُعدّ مباشراً لنقل الخلافة من الأمويين إلى أهل البيت عليه السلام، وتمردّه على تقليديّتهم السياسية في توارث الخلافة، وتعاطيهم معها على أساس مُلكٍ كسروي وسلطانٍ قيصري، وهو اليوم يدعو إلى التخلّص من أسر هذه التقليديّة والتعامل مع واقع الخلافة الإلهيّة المتمثلة بأئمة أهل البيت عليه السلام، وذلك أحقّ بالتصفية في نظرهم من السكوت عليه، أو الانتظار

في استفحال أمره وضياح ملكهم بعد ذاك بسببه .

ثانياً: تصفية مؤدّبه عمر المقصوص رضوان الله عليه ، ودفنه حيّاً ، فكيف بمصير معاوية الذي دعا إلى مبايعة أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وتخلّى الأمويين عن منافستهم لهم .

ثالثاً: طعن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، حيث احتملوا طمعه في الخلافة بعد أن صلّى على معاوية بن يزيد ، فكيف بمن دعى إلى خلاف مذهبهم السياسي ؟ !
ومن هنا تتّضح الإجابة على ما سبق ؛ إذ تصفية معاوية بن يزيد جسدياً يستلزم تصفية فكره وإلغائه تماماً ، والحذر الشديد والتقية التي كان يمارسها أهل البيت عليهم السلام تستدعي عدم الخوض في هذا الأمر ، فضلاً عن ملاحقة أخباره ووأدّها تاريخياً وفكرياً من قِبل الأمويين ومن سار على نهجهم .

هذه هي الأسباب التي توقّفنا على ضمور (ظاهرة) معاوية بن أبي سفيان ، وعدم التعاطي معها تاريخياً وعلى المستويين : الشيعي - الذي عاش دور التقية - ، والسني الذي لا يروق له التعرّف على شخصية معاوية بن يزيد المناقضة لتوجّهاتهم ، والمخالفة لأرائهم في الشورى والإجماع وخلافة أسلافهم .



الخليفة العباسي المعتضد بالله

أبو العباس أحمد بن الموفق. كان المعتضد أديباً شجاعاً سياسياً مهيباً شديد العقوبة، وكان شيعياً، أمر بلعن معاوية، وأن يكتب على المنابر خير الناس بعد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمر بالنداء: برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير، أو ترحم عليه، وأمر بإنشاء رسالة في معاييه ومساويه قرئت ببغداد على المنابر - وقد سردها العزيز بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة - وأراد أن يكتب بها إلى أطراف المملكة، فأشار عليه الوزير أن لا يفعل وقال: نخشى أن تحرك العامة، فقال المعتضد: أن تحركوا وضعت فيهم السيف، قال فكيف بالعلويين الذين ثاروا في الأطراف؟ فإذا سمع بذلك من مناقب أهل البيت كانوا أميل إليهم فثناه عن ذلك واقتصر على النداء المذكور^(١).

قال الطبري: وفي سنة ٢٤٨ عزم المعتضد بالله على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر، وأمر بإنشاء كتاب بذلك يقرأ على الناس، فخوفه عبيد الله بن سليمان بن وهب اضطراب العامة، وأنه لا يأمن أن تكون فتنة فلم يلتفت إلى ذلك من قوله، وذكر أن أول شيء بدأ به المعتضد حين أراد ذلك الأمر بالتقدم إلى العامة بلزوم أعمالهم، وترك الاجتماع والقضية عند السلطان، إلا أن يستلوا عن شهادة

(١) نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر - اليماني الصنعاني ١: ٢٦٢.

إن كانت عندهم ، وبمنع القصاص^(١) من القعود على الطرقات ، وعلت بذلك نسخ قرئت بالجانبين بمدينة السلام في الأرباع والمحال والأسواق ، فقرئت يوم الأربعاء لست بقين من جمادى الأولى من هذه السنة ، ثم منع يوم الجمعة لأربع بقين منها القصاص من القعود في المسجدين ومنع الباعة من القعود في رحابهما ، وفي جمادى الآخرة نودي في المسجد الجامع بنهي الناس عن الاجتماع على قاص أو غيره ، ومنع القصاص وأهل الحلق من القعود في يوم الحادي عشر ، وذلك يوم الجمعة نودي في الجامعين بأن الذمة بريئة ممن اجتمع من الناس على مناظرة أو جدل ، وأن من فعل ذلك أحل بنفسه الضرب ، وتقدم إلى الشراب والذين يسقون الماء في الجامعين ألا يترحموا على معاوية ، ولا يذكروه بخير^(٢) ، وتحذت الناس أن الكتاب الذي أمر المعتضد بإنشائه بلعن

-
- (١) الذين يروون القصص ، ومعلوم أن هؤلاء كانوا يرّوجون توجّهات الحاكم السياسي ، ويحاولوا أن يشيعوا سياسته ، فهم جهاز إعلامي مأجور من قبل النظام .
- (٢) هذه الاجراءات التي قام بها المعتضد العباسي محاولة منه لترتيب البنية الثقافية التحتية ، وتثقيف العامة بثقافة جديدة بعد أن حاولت الأنظمة السياسية المتعاقبة من غسل الدماغ الإسلامي وتعطيله وشلّه إلى حالة تقليدية لا يعي ما يجري حوله ، وحجبه عن معرفة وقائع الأحداث التاريخية التي جرت في وقت ما ، على أن الخليفة المعتضد أكد على (التطهير) الثقافي الذي كان (يدّس) الشارع البغدادي وقتذاك ، فانتشار القصاصين في الطرقات وانبثاقهم في المساجد وتجمّعاتهم في المنتديات الثقافية كلّ ذلك بسبب السياقات الفكرية والثقافية السائدة التي حاولت الأنظمة السياسية المتعاقبة رواجها وإقامتها في الحياة العامة ، بل حاول الخليفة العباسي بصرامته أن يتدخل في الحياة العامة المفتلنة وقتذاك لتنظيمها بما ينسجم وعطاءات الظرف السياسي الجديد وتحولاته الفكرية والثقافية ، وتجنّب عبثية الشارع الثقافي الذي يعجّ بتوجّهات فكرية يبتّها القصاصون ، فضلاً عن إجراءاته الأمنية في منع التجمّعات العامة لضمانة تنفيذ الخطط الثقافية الجديدة .

معاوية يقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر^(١)، فلما صلى الناس الجمعة بادروا إلى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب فلم يقرأ. فذكر أن المعتضد أمر بإخراج الكتاب الذي كان المأمون أمر بإنشائه بلعن معاوية، فأخرج له من الديوان :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي العظيم، الحكيم العزيز، الرحيم المنفرد بالوحدانية، الباهر بقدرته، الخالق بمشيئته وحكمته، الذي يعلم سوابق الصدور، وضماير القلوب، لا يخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات العلى ولا في الأرضين السفلى، قد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، وضرب لكل شيء أمداً، وهو العليم الخبير.

والحمد لله الذي برأ خلقه لعبادته، وخلق عباده لمعرفته على سابق علمه في طاعة مطيعهم، وماضي أمره في عصيان عاصيهم، فبين لهم ما يأتون وما يتقون، ونهج لهم سبل النجاة، وحذرهم مسالك الهلكة، وظاهر عليهم الحجة، وقدم إليهم المعذرة، واختار لهم دينه الذي ارتضى لهم وأكرمهم به، وجعل المعتصمين بحبله والتمسكين بعروته أولياءه، وأهل طاعته، والعاندين عنه

(١) إلا أن الذي يُلَفَت الانتباه إلى صرامة هذه الإجراءات وحذر الخليفة الشديد في التدرج باتخاذ الاحتياطات اللازمة لأي تحرُّك قد يطرأ من العامة أو يواجهه الخليفة من بعضهم، لذا فقد مهَّد الخليفة غطاءً أمنيّاً في منع أي تجمع يُحدثه العامة تحسباً لأي طارئ قد يطرأ بعد ذلك، فالخليفة كان حذراً من أحداث أي تحرُّك مضادّ تحدثه بعض التيارات كردة فعل على هذا الإعلان، فحالة الطوارئ أشبه بمنع تجوّل في شوارع العاصمة، ومنع الباعة من التعاطي مع الآخرين، وأمر الناس بالالتحاق بأعمالهم لمنع أيّة فوضى محتملة ممّا يعني أن المعتضد كان متوجساً من خطورة الانقلاب العقائدي والفكري الذي سيحدثه إعلانه بسبب معاوية وتفضيل عليّ عليه السلام.

والمخالفين له أعداءه ، وأهل معصيته ؛ ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن بينة ، وأن الله لسميع عليم .

والحمد لله الذي اصطفى محمداً رسوله من جميع بريته ، واختاره لرسالته ، وابتعته بالهدى والدين المرتضى إلى عباده أجمعين ، وأنزل عليه الكتاب المبين المستبين ، وتأذن له بالنصر والتمكين ، وأيده بالعز والبرهان المتين ، فاهتدى به من اهتدى ، واستنقذ به من استجاب له من العمى ، وأضل من أدبر وتولى ، حتى أظهر الله أمره ، وأعز نصره ، وقهر من خالفه ، وأنجز له وعده ، وختم به رسله ، وقبضه مؤدياً لأمره ، مبلغاً لرسالته ، ناصحاً لأئمة ، مرضياً مهتدياً إلى أكرم مآب المنقليين ، وأعلى منازل أنبيائه المرسلين وعباده الفائزين ، فصلّى الله عليه أفضل صلاة ، وأتمّها ، وأجلّها ، وأعظمها ، وأزكاها ، وأطهرها ، وعلى آله الطيبين .

وقد^(١) انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعة من العامة من شبهة قد دخلتهم في أديانهم ، وفساد قد لحقهم في معتقدهم ، وعصبية قد غلبت عليها أهوائهم ، ونطقت بها ألسنتهم على غير معرفة ولا روية ، وقلّدوا فيها قادة الضلالة بلا بينة ولا بصيرة ، وخالفوا السنن المتبعة إلى الأهواء المبتدعة . قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٢) ؛ خروجاً عن الجماعة ، ومسارعة إلى الفتنة ، وإثارة للفرقة ، وتشتيات للكلمة ، وإظهاراً لموالاة من قطع الله عنه الموالاة ، وبتز منه العصمة ، وأخرجه من الملة ، وأوجب عليه اللعنة ، وعظيماً لمن صغر الله حقّه ، وأوهن أمره ، وأضعف ركنه من

(١) إلى هنا يشترك الطبري وابن أبي الحديد في إيراد الرسالة ، والزيادة التي قبلها غير واردة في شرح نهج البلاغة ، فأوردنا ما اشتركا به .

(٢) سورة القصص : الآية ٥٠ .

بني أمية، الشجرة الملعونة، ومخالفة لمن استنقذهم الله أمره من المسلمين، وإهمالاً لمن أوجبه الله عليه من تقويم المخالفين، وتبصير الجاهلين، وإقامة الحجة على الشاكين، وبسط اليد على المعاندين، وأمير المؤمنين يرجع إليكم معشر الناس بأن الله عز وجل لما ابتعث محمداً بدينه، وأمره أن يصدع بأمره بدأ بأهله وعشيرته، فدعاهم إلى ربه، وأنذرهم وبشرهم ونصح لهم وأرشدهم، فكان من استجاب له، وصدق قوله، وأتبع أمره نفر يسير من بني أبيه من بين مؤمن بما أتى به من ربه، وبين ناصر له، وإن لم يتبع دينه إعزازاً له، وإشفاقاً عليه؛ لما مضى علم الله فيمن اختار منهم، ونفذت مشيئته فيما يستودعه إياه من خلافته، وإرث نبيه، فمؤمنهم مجاهد بنصرته وحميته، يدفعون من نابذه، وينهرون من عاره وعانده، ويتوثقون له ممن كائفه وعاضده، ويبايعون له من سمح بنصرته، ويتجسسون له أخبار أعدائه، ويكيدون له بظهر الغيب، كما يكيدون له برأي العين، حتى بلغ المدى، وحان وقت الاهتداء، فدخلوا في دين الله وطاعته، وتصديق رسوله، والإيمان به بأثبت بصيرة، وأحسن هدى ورغبة، فجعلهم الله أهل بيت الرحمة وأهل بيت الدين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ومعدن الحكمة، وورثة النبوة، وموضع الخلافة، وأوجب لهم الفضيلة، وأزم العباد لهم الطاعة، وكان ممن عانده ونابذه وكذبه وحاربه من عشيرته العدد الأكثر، والسواد الأعظم يتلقونه بالتكذيب والتثريب، ويقصدونه بالأذية والتخويف، ويبارزونهم بالعداوة، وينصبون له المحاربة، ويصدون عنه من قصده، وينالون بالتعذيب من أتبعه، وأشدّهم في ذلك عداوة، وأعظم له مخالفة، وأولهم في كل حرب ومناصب لا يرفع على الإسلام راية إلا كان صاحبها وقائدها ورئيسها في كل مواطن الحرب من بدر وأحد والخندق والفتح أبو سفيان بن حرب وأشياعه من بني أمية الملعونين في كتاب الله، الملعونين على لسان

رسول الله في عدة مواطن ، وعدة مواضع لما مضى في علم الله فيهم وفي أمرهم ، ونفاقهم ، وكفر أحلامهم ، فحارب مجاهداً ، ودافع مكابداً ، وأقام منابذاً ، حتى قهره السيف وعلا أمر الله وهم كارهون ، فتقول بالإسلام غير منظور عليه ، وأسر الكفر غير مقلع عنه ، فعرفه بذلك رسول الله ﷺ والمسلمون ، وميز له المؤلفة قلوبهم قبله وولده على علم منه ، فمما لعنهم الله به على لسان نبيه ﷺ وأنزل به كتاباً قوله : ﴿ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ ^(١) ، ولا اختلاف بين أحد أنه أراد بها بني أمية ، ومنه قوله الرسول ﷺ وقد رآه مقبلاً على حمار ، ومعاوية يقود به ، ويزيد ابنه يسوق به : « لعن الله القائد والراكب والسائق » ، ومنه ما يرويه الرواة من قوله : « يا بني عبد مناف ، تلتفوها تلتف الكرة ، فما هناك جنة ولا نار » ، وهذا كفر صراح يلحقه به اللعنة من الله كما لحقت الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، ومنه ما يروون من وقوفه على ثنية أحد بعد ذهاب بصره ، وقوله لقائده : « هاهنا ذبينا محمداً وأصحابه » ، ومنه الرؤيا التي رآها النبي ﷺ ، فوجم لها فما روي ضاحكاً بعدها ، فأنزل الله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ ^(٢) ، فذكروا أنه رأى نفرأ من بني أمية يزرون على منبره ، ومنه طرد رسول الله ﷺ الحكم بن أبي العاص لحكايته إيائه ، وألحقه الله بدعوة رسوله آية باقية حين رآه يتخلج فقال له : كن كما أنت ، فبقى على ذلك سائر عمره إلى ما كان من مروان في افتتاحه أول فتنه كانت في الإسلام ، واحتقابه لكل دم سفك فيها أو أريق بعدها ، ومنه ما أنزل الله على نبيه في سورة القدر : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ من ملك بني أمية ، ومنه أن رسول الله ﷺ دعا بمعاوية ليكتب بأمره

بين يديه ، فدافع بأمره ، واعتل بطعامه ، فقال النبي : لا أشبع الله بطنه ، فبقى لا يشبع ويقول : والله ما أنزل الطعام شعباً ولكن أعيا ، ومنه أن رسول الله ﷺ قال : يطلع من هذا الفج رجل من أمتي يحشر على غير ملتي ، فطلع معاوية ، ومنه أن رسول الله ﷺ قال : إن معاوية في تابوت من نار في أسفل درك منها ، ينادي : يا حنان ، يا منان ، الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ، ومنه انبواؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً ، وأقدمهم سبقاً ، وأحسنهم فيه أثراً وذكراً علي بن أبي طالب^(١) ، ينازعه حقه بباطله ، ويجاهد أنصاره بضلاله وغوايته ، ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه من إطفاء نور الله ، وجحود دينه ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون .

يستهوئ أهل الغباوة ، ويموّه على أهل الجهالة بمكره وبغيه اللذين قدم رسول الله ﷺ الخبر عنهما ، فقال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية ، تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار » ، مؤثراً للعاجلة ، كافراً بالأجلة ، خارجاً من رتبة الإسلام ، مستحلاً للدم الحرام ، حتى سفك في فتته ، وعلى سبيل ضلالته ما لا يحصى عدده من خيار المسلمين الذابّين عن دين الله ، والناصرين لحقه ، مجاهداً لله ، مجتهداً في أن يعصى الله فلا يطاع ، وتبطل أحكامه فلا تُقام ، ويخالف دينه فلا يدان ، وأن تعلو كلمة الضلالة ، وترتفع دعوة الباطل ، وكلمة الله هي العليا ، ودينه المنصور ، وحكمه المتبع النافذ ، وأمره الغالب ، وكيد من حادّه المغلوب الداحض ، حتى احتمل أوزار تلك الحروب وما اتّبعتها ، وتطوّق تلك الدماء وما سفك بعدها ، وسنّ سنن الفساد التي عليه إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة ،

(١) من هنا يُظهر الخليفة العبّاسي بوضوح تشييعه وولاءه لعليّ ﷺ ، حين يفضّله على كلّ أحد بعد رسول الله ﷺ ، وينفي إمامة ما عداه .

وأباح المحارم لمن ارتكبها، ومنع الحقوق أهلها، واغتره الإملاء، واستدرجه الإمهال، والله له بالمرصاد.

ثم مما أوجب الله له به اللعنة قتله من قتل صبراً من خيار الصحابة والتابعين وأهل الفضل والديانة، مثل عمرو بن الحمق، وحجر بن عدي، فمن قتل أمثالهم في أن يكون العزة والملك والغلبة، والله العزة والملك والقدرة، والله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(١).

ومما استحق به اللعنة من الله ورسوله ادعاؤه زياد بن سمية جراً على الله، والله يقول: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٢) ورسول الله ﷺ يقول: «ملعون من ادعى إلى غير أبيه، وانتمى إلى غير مواليه»، ويقول: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر»، فخالف حكم الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ جهاراً، وجعل الولد لغير الفراش، والعاهر لا يضره عهره، فأدخل بهذه الدعوة من محارم الله ومحارم رسوله في أم حبيبة زوجة النبي ﷺ، وفي غيرها من سفور وجوه ما قد حرّمه الله، وأثبت بها قربي قد باعدها الله، وأباح بها ما قد حظره الله مما لم يدخل على الإسلام خلل مثله، ولم ينل الدين تبديل شبهة، ومنه إيثاره بدين الله، ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبر الخمير صاحب الفهود والقروء، وأخذ البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والاختافة والتهديد والرغبة، وهو يعلم سفهه، ويطلع على خبثه ورهقه، ويعاين سكرانه وفجوره وكفره، فلما تمكن منه ما مكّنه منه، ووطأه له، وعصى الله ورسوله فيه طلب بثارات المشركين

(١) سورة النساء: الآية ٩٣.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥.

وطوائهم عند المسلمين، فأوقع بأهل الحرّة الوقعة التي لم يكن في الإسلام أشنع منها ولا أفحش ممّا ارتكب من الصالحين فيها وشفى بذلك عبد نفسه وغلبه وظنّ أن قد انتقم من أولياء الله، وبلغ النوى لأعداء الله، فقال: مجاهراً بكفره، ومظهراً لشركه:

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا	جَزَعَ الْخَزَرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلِ
قَدْ قَتَلْنَا الْقَوْمَ مِنْ سَادَاتِهِمْ	وَعَدَلْنَاهُ بِبَدْرٍ فَأَعْتَدَلْ
فَأَهْلُوا وَاسْتَهَلُّوا فَرَحاً	ثُمَّ قَالُوا: يَا يَزِيدُ لَا تُثْلُ
لَسْتُ مِنْ خِنْدَفٍ إِنْ لَمْ أَنْتَقِمْ	مِنْ بَنِي أَحْمَدَ مَا كَانَ فَعَلْ
لَعِبْتُ هَاشِمٍ بِالْمُلْكِ فَلَا	خَبَرَ جَاءَ وَلَا وَحْيَ نَزَلَ

هذا هو المروق من الدين، وقول من لا يرجع إلى الله، ولا إلى دينه، ولا إلى كتابه، ولا إلى رسوله، ولا يؤمن بالله، ولا بما جاء من عند الله، ثم من أغلظ ما انتهك، وأعظم ما اخترم سفكه دم الحسين بن عليّ، وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، مع موقعه من رسول الله، ومكانه منه، ومنزلته من الدين والفضل، وشهادة رسول الله ﷺ ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنّة، اجتراءً على الله، وكفراً بدينه، وعداوة لرسوله، ومجاهدة لعترته، واستهانةً بحرمة، فكأنما يقتل به وبأهل بيته قوماً كفّار أهل الترك والديلم، لا يخاف من الله نقمة، ولا يرقب منه سطوة، فبتر الله عمره، واجتث أصله وفرعه، وسلبه ما تحت يده، وأعدله من عذابه وعقوبته ما استحقّه من الله بمعصيته، هذا إلى ما كان من بني مروان من تبديل كتاب الله، وتعطيل أحكامه، واتّخاذ مال الله دولاً بينهم، وهدم بيته، واستحلال حرامه، ونصيبهم المجانيق عليه، ورميهم إيّاه بالنيران، لا يألون له إحراقاً وإخراباً، ولما حرّم الله منه استباحة وانتهاكاً، ولمن لجأ إليه قتلاً وتكليلاً،

ولمن آمنه الله به إخافة وتشريداً، حتى إذا حَقَّتْ عليهم كلمة العذاب، واستحقُّوا من الله الانتقام، وملؤوا الأرض بالجور والعدوان، وعملوا عباد الله بالظلم والافتسار، وحلَّتْ عليهم السخطة، ونزلت بهم من الله السطوة، وأتاح الله لهم من عترة نبيِّه، وأهل ورائته من استخلصتهم منهم بخلافته، مثل ما أتاح الله من أسلافهم المؤمنين، وآبائهم المجاهدين لأوائلهم الكافرين، فسفك الله بهم دماءهم مرتدين، كما سفك بآبائهم دماء آباء الكفرة المشركين، وقطع الله دابر القوم الظالمين، والحمد لله رب العالمين، ومكَّن الله المستضعفين، وردَّ الله الحقَّ إلى أهله المستحقِّين، كما قال جلَّ شأنه: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١).

واعلموا أيُّها النَّاسُ، أنَّ الله عزَّ وجلَّ إنما أمر ليُطاع، ومثل ليُمتثل، وحكم ليُقبل، وألزم الأخذ بسنة نبيِّه ﷺ ليتَّبِعَ، وإنَّ كثيراً ممَّن ضلَّ فالتوى، وانتقل من أهل الجهالة والسفاهة ممَّن اتَّخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾^(٢).

فانتهوا معاشر النَّاسِ عما يسخط الله عليكم، وراجعوا ما يرضيه عنكم، وارضوا من الله بما اختار لكم، وألزموا ما أمركم به، وجانبوا ما نهاكم عنه، واتَّبِعُوا الصُّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، والحجَّةَ البَيِّنَةَ، والسبيل الواضحة، وأهل بيت الرحمة الذين هداكم الله بهم بديئاً، واستنقذكُم بهم من الجور والعدوان أخيراً، وأصاركم إلى الخفض والعزَّ بدولتهم، وشملكم الإصلاح في أديانكم ومعاشكم في أيَّامهم، والعنوا من لعنه الله ورسوله، وفارقوا من لا تنالون القربة من الله

(١) سورة القصص: الآية ٥.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٢.

إلّا بمفارقتة^(١).

اللّهُمَّ العن أبا سفيان بن حرب ، ومعاوية ابنه ، ويزيد بن معاوية ، ومروان بن الحكم وولده. اللّهُمَّ العن أئمة الكفر ، وقادة الضلالة ، وأعداء الدين ، ومجاهدي الرسول ، ومغيّري الأحكام ، ومبدلي الكتاب ، وسفاكي الدم الحرام.

اللّهُمَّ إِنَّا نَتَبَرَأُ إِلَيْكَ مِنْ مَوَالَةِ أَعْدَائِكَ ، وَمِنْ الْإِعْمَاضِ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِكَ ، كَمَا قُلْتَ : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾^(٢).

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، اعْرِفُوا الْحَقَّ تَعْرِفُوا أَهْلَهُ ، وَتَأْمَلُوا سَبِيلَ الضَّلَالَةِ تَعْرِفُوا سَابِلَهَا ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَبِينُ عَنِ النَّاسِ أَعْمَالَهُمْ ، وَيُلْحِقُهُم بِالضَّلَالِ وَالصَّلَاحِ آبَاؤُهُمْ ، فَلَا يَأْخُذُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَّائِمٌ ، وَلَا يَمِيلُنَّ بِكُمْ عَنْ دِينِ اللَّهِ اسْتِهْوَاءَ مَنْ يَسْتَهْوِيكُمْ ، وَكَيْدَ مَنْ يَكِيدُكُمْ ، وَطَاعَةَ مَنْ تَخْرِجُكُمْ طَاعَتَهُ إِلَى مَعْصِيَةِ رَبِّكُمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ ، بِنَا هَذَا كُمْ اللَّهُ ، وَنَحْنُ الْمُسْتَحْفَظُونَ فِيكُمْ اللَّهُ ، وَنَحْنُ وَرَثَةُ رَسُولِ اللَّهِ ، وَالْقَائِمُونَ بِدِينِ اللَّهِ ، فَفَقُوا عِنْدَمَا نَقَفَكُمْ عَلَيْهِ ، وَأَنْفَذُوا لِمَا نَأْمُرُكُمْ بِهِ ، فَإِنَّكُمْ مَا أَطَعْتُمْ خُلَفَاءَ اللَّهِ وَأُئِمَّةَ الْهُدَى عَلَى سَبِيلِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَعَصِمُ اللَّهُ وَيَسْأَلُهُ تَوْفِيَكُمْ ، وَيَرْغَبُ إِلَى اللَّهِ فِي هِدَايَتِكُمْ لِرَشْدِكُمْ ، وَفِي حِفْظِ دِينِهِ عَلَيْكُمْ ، حَتَّى تَلْقَوْهُ بِهِ مُسْتَحْقِّينَ طَاعَتِهِ ، مُسْتَحْقِّينَ لِرَحْمَتِهِ ، وَاللَّهُ حَسْبُ

(١) وهذه دعوة صريحة من قِبَل الخليفة المعتضد العبّاسي للتبرّي من خطّ السلف ، والالتزام بمنهج أهل البيت عليهم السلام ، إلّا أنّه مراعاة للظرف الفكري الخطير عنون دعوته بالتبرّي من معاوية بن أبي سفيان ، ومعلوم أنّ الدعوة تشمل التبرّي من معاوية ، ومن ملازمات خطّه ، وهو امتداد خطّ الشيخين ومن والاهما ، وهو معاوية بن أبي سفيان ومن على شاكلته .

(٢) سورة المجادلة : الآية ٢٢ .

إلى هنا ينتهي كتاب الخليفة المعتضد العبّاسي في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

أمير المؤمنين فيكم وعليه توكله ، وبالله على ما قلّده من أموركم استعانته ، ولا حول لأمر المؤمنين ولا قوّة إلا بالله ، والسلام عليكم .

وكتب أبو القاسم عبيدالله بن سليمان في سنة ٢٨٤^(١) .

هذه الرسالة التي قرأناها تمثل منعطفاً فكرياً خطيراً في توجّهات الخلافة العباسيّة التي يمثلها الخليفة المعتضد ، ولم تكن هذه الحالة الفكرية الجديدة تنطلق من فراغ يدفع الخليفة إلى مزاولة ترفٍ فكري يحاول من خلاله تعميم رؤية فكرية جديدة يبيّنها لرعاياه بقدر ما هي قناعة فكرية تزج بالخليفة إلى معتركٍ سياسي خطير هو في غنى عنه .

فالتحوّلات الفكرية للخليفة في ولائه لأئمة آل البيت عليهم السلام ، وإظهار معائب أعدائهم نتيجة طبيعته يصل إليها المسلم الواعي الذي يمثل الخليفة العباسي إحدى شرائحه البارزة ، وهي حالة طبيعية تدفع بالإنسان حين تجرّده عن تقليديّاته القبليّة ، فالخليفة العباسي يتحرّر من قيود هذه التبعيّة الثقافية القبليّة ، ويبحث في حيثيات المشروع التاريخي الإسلامي ليقراء قراءة جديدة ، ليعيد النظر في كلّ مواقفه والتزاماته ، بل ومستحقّاته الثقافية التي عهدا منذ طفولته .

على أنّ الفكر الشيعي يمثل الحالة الطبيعيّة للفرد المسلم إذا ما خلّي ونفسه ، ومحاولة الخليفة العباسي من إرجاع الأمة إلى فكر أهل البيت عليهم السلام ، والتخلّي من حالة التقليديّات الثقافية خطوة مهمّة في تصحيح مسيرة الأمة التي حرفت توجّهاتها الثقافية عقود سياسية مريرة .

وإذا أرجعنا هذا الانعطاف إلى تحرّر المعتضد من تقليديّاته الفكرية وانفتاحه

(١) تاريخ الطبري ٨ : ١٨٢ - ١٨٩ ، وأشار إلى هذا الكتاب السيوطي في تاريخ الخلفاء : ٣٤٤ .

على فكر آل البيت عليهم السلام ، فإن المسعودي في مروج الذهب يوعز ذلك التحول إلى رؤيا عنت للمعتضد فأحاطته مناصراً لمذهب أهل البيت عليهم السلام ، فيقول :

وكان ورد مال من محمد بن زيد من بلاد طبرستان ليفرق في آل أبي طالب سرّاً ، فغمر بذلك إلى المعتضد فأحضر الرجل الذي كان يحمل المال إليهم ، فأنكر عليه إخفاء ذلك ، وأمره بإظهاره ، وقرب آل أبي طالب ، وكان السبب في ذلك قرب النسب ^(١).

ولما أخبرنا به أبو الحسن محمد بن علي الوراق الأنطاكي الفقيه المعروف بابن الغنوي بأنطاكية ، قال : أخبرني محمد بن يحيى بن أبي عباد الجليس قال : رأى المعتضد بالله وهو في سجن أبيه كأش شيخاً جالساً على دجلة ، يمدُّ يده إلى ماء دجله فيصير في يده ، وتجفُّ دجلة ، ثم يردّه من يده ، فتعود دجلة كما كانت ، قال : فسألت عنه فقيل لي : هذا علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال فقامت إليه وسلّمت عليه ، فقال : يا أحمد ، إنّ هذا الأمر صائر إليك فلا تتعرض لولدي ، ولا تؤذهم ، فقلت : السمع والطاعة يا أمير المؤمنين ^(٢).

وعلى ما يبدو أنّ هذه الرؤيا تبعث عمّا تكته نفس المعتضد من استشعار الحقّ لآل أبي طالب ، ومحاولاته في قراءة الحدث التاريخي قراءة يتجرّد المعتضد عن

(١) لم يكن النسب هو السبب في كلّ هذه التغيّرات ، ولو كان النسب شافعاً لدى الخلفاء العباسيين لما كانت مجازر العلويين على يد بني العباس تحكيها ملاحم تاريخيّة لا يمكن نكرانها ولما اندفع العباسيون إلى تصفية خصومهم العلويين ، وزجّ أئمّتهم عليهم السلام في قعر السجون ، وظلم المطامير ، بل السبب أبعد من ذلك وهو الدافع الفطري الذي دعا بالمعتضد إلى إعادة قراءة التاريخ ومجريات الأحداث الإسلاميّة من جديد ، وهذا الدافع يتمّ به أي إنسان يرقى بتحرّره من قيود التبعية الثقافية التقليدية المفروضة عليه .

(عبّاسيّته) ليعيش في معطيات تحرّراته الثقافية ، وانفتاحه على الآخر ، فوجد في نوازعه ما يدعوه إلى الانتماء لآل البيت عليهم السلام ، فكانت هذه الرؤيا شاهدة على صحّة ما توصّلت إليه استقرّاءات المعتضد العباسي .



الخليفة العبّاسي المنتصر بالله

هو الخليفة المنتصر بالله أبو القاسم محمّد بن المتوكّل على الله ، أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله ، أبي إسحاق محمّد بن هارون الرشيد الهاشمي العبّاسي البغدادي .

قال الصنعاني : كان المنتصر شيعياً ، ووالده المتوكّل من زنادقة النواصب ، فتمكّنت عداوة المنتصر لأبيه ، ورأى منه ما يقتضي الانحلال عن الإسلام مثل هدمه قبر الحسين عليه السلام ، وخاف منه ، فأعمل الحيلة في قتله حتّى قتله .

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي في الجهورية : دخل المنتصر عليه السلام على أبيه المتوكّل ليلةً وقدّاه رجل قد تزوّج بزي عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وقد كبر بطنه ، فتبيّن الغضب في وجه المنتصر ، ففطن المتوكّل ، وكان ذلك أحد الأسباب الباعثة للمنتصر على قتل أبيه .

وأظهر المنتصر خلاف مذهب أبيه في كلّ شيء ، وطرد من كان يتقرّب إليه بهجاء عليّ عليه السلام من الشعراء ، كعليّ بن الجهم ، ومروان بن أبي حفصة الصغير . وكان المنتصر ملكاً شجاعاً حازماً كريماً سرياً شاعراً أديباً ^(١) .

قال المسعودي : وكان آل أبي طالب قبل خلافته في محنة عظيمة ،

(١) نسمة السحر بذكر من تشييع وشعر - اليماني الصنعاني ٣ : ١٨١ ، وما بعدها .

وخوف على دمائهم ، قد مُنعوا من زيارة قبر الحسين والغري من أرض الكوفة ، وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد ، وكان الأمر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومئتين ، وفيها أمر المعروف بالزيريج بالسير إلى قبر الحسين بن علي (رضي الله تعالى عنهما) وهدمه ومحو أرضه وإزالة أثره ، وأن يعاقب من وجد به ، فبذل الرغائب لمن تقدّم على هذا القبر ، فكلّ خشى العقوبة وأحجم ، فتناول الزيريج مسحاةً وهدم أعالي قبر الحسين ، فحيثُذ أقدم الفعلة فيه ، وأنهم انتهوا إلى الحفرة وموضع اللحد فلم يروا فيه أثر رمة ولا غيرها ، ولم تزل الأمور على ما ذكرنا إلى أن استخلف المنتصر ، فأمن الناس ، وتقدّم بالكف عن آل أبي طالب ، وترك البحث عن أخبارهم ، وأن لا يمنع أحد زيارة الحيرة لقبر الحسين رضي الله تعالى عنه ، ولا قبر غيره من آل أبي طالب ، وأمر برد فذك إلى ولد الحسن والحسين ، وأطلق أوقاف آل أبي طالب ، وترك التعرّض لشيعتهم ، ودفع الأذى عنهم ، وفي ذلك يقول البحري من أبيات له :

ولقد بررت الطالبيّة بعد ما	ذمّوا زماناً بعدها وزمانا
ورددت ألفة هاشم فرأيتهم	بعد العداوة بينهم اخوانا
أنست ليلهم وجدت عليهم	حتى نسوا الأحقاد والأضغانا
لو يعلم الأسلاف كيف بررتهم	لأروك أثقل من بها ميزانا ^(١)

وذكر السيوطي عند تاريخه للمنتصر : محسناً إلى العلويّين ، وصولاً لهم ، وأزال عن آل أبي طالب ما كانوا فيه من الخوف والمحنة يمنعهم من زيارة قبر الحسين ، وردّ على آل الحسين فذك^(٢).

(١) مروج الذهب ٤ : ١٤٧ .

(٢) تاريخ الخلفاء : ٣٣٠ .

قال الطبري: ولي المنتصر أبا عمرة أحمد بن سعيد مولى بني هاشم بعد البيعة بيوم المظالم.

وقال: ذكر أنَّ المنتصر لما ولي الخلافة كان أول شيء أحدث من الأمور عزل صالح عن المدينة، وتولية علي بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد إياها، فذكر عن علي بن الحسين بأنه قال: دخلت عليه أودّعه فقال لي: يا علي، إنني أوجهك إلى لحمي ودمي، ومدّ جلد ساعده، وقال: إلى هذا وجهك فانظر كيف تكون للقوم، وكيف تعاملهم، يعني آل أبي طالب، فقلت: أرجو أن أمتثل رأي أمير المؤمنين أيده الله فيهم إن شاء الله فقال: إذن تسعد بذلك عندي^(١).

قال الاصفهاني في مقاتل الطالبين: وكان المنتصر يظهر إلى أهل هذا البيت، ويخالف أباه في أفعاله، فلم يجر منه على أحد منهم قتل أو حبس ولا مكروه فيما بلغنا، والله العالم^(٢).

وبذلك يسجل المنتصر العباسي صفحة مشرقة مضيئة في تاريخ تلك الحقبة المريرة التي عانى منها آل البيت عليهم السلام وأتباعهم، وبذلك فقد تحرّر المنتصر من وثنية التقليد العباسي الذي يسحق معه كل مبدأ وأخلاق وقيم.



(١) تاريخ الطبري ٧: ٤١٦.

(٢) مقاتل الطالبين - أبو الفرج الاصفهاني: ٥٠٤.

المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي

وهو ابن خالد بن الوليد المعروف بتخيّزه لصالح الشيخين علي حساب عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، لم يبايع خالد عليّ بن أبي طالب ، فكان مغاضباً له ، منحرفاً عنه .

كان المهاجر ولده مع أمير المؤمنين يوم الجمل ويوم صفّين ، بخلاف أخيه عبدالرحمن ؛ حيث كان عثمانياً ، وكان بصّفين مع معاوية ، واستشهد المهاجر بصّفين مع عليّ عليه السلام ^(١) .

قال ابن أبي الحديد : كان المهاجر بن خالد بن الوليد علويّ الرأي جداً ، وكان أخوه عبدالرحمن بخلافه . شهد المهاجر صفّين مع عليّ وشهدا عبدالرحمن مع معاوية ، وكان المهاجر مع عليّ يوم الجمل وفقت ذلك اليوم عينه .

وفي خزانة الأدب عن الأغاني : كان المهاجر مع عليّ عليه السلام بصّفين ، وكان هاشمي المذهب ^(٢) .

قال في الإصابة : المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي .. شهد صفّين مع عليّ ، وشهد قبلها الجمل ففقت عينه .. وذكر الدولابي في الكنى من طريق

(١) تنقيح المقال ٣ : ٢٦٠ .

(٢) أعيان الشيعة ١٥ : ١١ .

الحسن بن عثمان ، قال : وممن قُتل بصفين من أصحاب عليّ ، المهاجر بن خالد بن الوليد ، وكذا قال يعقوب بن شيبة في مسنده^(١).

وقال عند ترجمته عبدالرحمن بن خالد : وكان يؤمر على غزو الروم أيام معاوية ، وشهد معه صفين ، وكان أخوه المهاجر بن خالد مع عليّ في حروبه^(٢).



(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٣ : ٤٨٠.

(٢) المصدر المتقدم : ٦٨.

الخليفة العبّاسي الناصر لدين الله

ولد (٥٥٢)، وبويع له بالخلافة (٥٧٥)، ومات (٦٢٢).

قال ابن الطقطقي في الأداب السلطانيّة: كان من أفاضل الخلفاء، يفاوض العلماء، وكان يرى رأي الإماميّة، وأحبّ مباشرة أعمال الرعيّة بنفسه، حتّى كان يتمشّى في الليل في دروب بغداد. وكذا ذكر اليافعي في مرآة الجنان (٤: ٥٠).

وهو أطول بني العبّاس ملّكاً، كما أنّ الناصر الأموي صاحب الأندلس أطول بني أُميّة دولةً، والمستنصر العبيدي أطول بني عبيد، والسلطان سنجر أطول بني سلجوق.

وفي سنة وفاته توفي الملك الأفضل نور الدين عليّ بن صلاح الدين يوسف الأيوبي، الذي كتب إلى الناصر شكاية عن أخيه العزيز وعمّه العادل:

مولاي إنّ أبا بكر وصاحبه	عثمان قد غصبا بالسيف حقّ عليّ
وخالفاه وحلاً عقد بيعته	فالأمر بينهما والنصّ فيه جليّ
فانظر إلى حظّ هذا الاسم كيف لقي	من الأواخر ما لاقى من الأوّل
فكتب الناصر إليه:	

وافى كتابك يا بن يوسف معلناً	بالحقّ يخبر أنّ أصلك طاهرٌ
غصبوا عليّاً حقّه إذ لم يكن	بعد النبيّ له بيثرب ناصر

فابشر فإنَّ غداً عليه حسابهم واصبر فناصرك الإمام الناصر
وقال ابن جبير: أنَّه كان يحبُّ الظهور للعامة، ويؤثر التحبُّ إليهم.
وقال السيوطي نقلاً عن ابن النجَّار: دانت له السلاطين، وخطب له بلاد الأندلس
وبلاد الصين^(١).

ومن شعر له مشيراً إلى ولده الظاهر:

بليت حتَّى بأدنى النَّاس من جلدي يريد موتي وبأرواح نفدي
وكتب إليه خادم له اسمه يمن ورقة تتضمَّن عتاباً، فكتب في جوابه:

يمن يمن يمن يمن يمن يمن ثمن ثمن ثمن ثمن

وجمع الناصر المخطوطات النفيسة في قصره، وأسس مكتبات للمدارس
والمساجد، وشيّد أبنية منها دور الضيافة للحاجّ ورباط المرزبانية ورباط
الخلاطية.

ومن آثاره الباقية الباب المشبَّك من الخشب المنصوب على الصفة بالسرداب
المقدَّس في سامراء، عمله في سنة ٦٠٦، كما كتب عليه: بمباشرة السيّد الجليل
الشريف معد بن الحسين بن معد الموسوي، ولعلَّه ابن أخي السيّد النسابة
فخار بن معد الموسوي، والسيّد فخار هذا يروي عن الناصر المترجم له إجازة.
وللمترجم له فضائل أمير المؤمنين رواه ابن طاووس في كتابه اليقين عن فخار
المذكور عن المؤلّف الناصر هذا.

وله أيضاً روح العارفين حكاه في كشف الظنون عن التفتازاني، وهو في
الحديث، قال في تجارب السلف: أنَّه قرأها علماء المذاهب الأربعة جميعاً

على الناصر ، وكتب هو بخطه لهم إجازة الرواية عنه .

وحكى الأب انستاس الكرملّي في خلاصة تاريخ العراق : أنَّ عليّ بن أنجب المقداد الخازن المعروف بابن الساعي ألف الروض الناصر في أحوال الإمام الناصر في خمسة مجلدات .

وفي عهد الناصر أخذت الشيعة بالظهور والانتشار في بغداد من جديد بعد الاضطهادات التي لاقوها بعد زوال آل بويه^(١) .

قال الصنعاني في نسمة السحر : وكان [أي الناصر] خليفة فاضلاً حازماً أديباً سعيداً ، ومن العجائب أنَّه كان من الشيعة الإمامية في الإمامة والمعتقد ، وكان يرى نفسه نائباً للإمام المنتظر عليه السلام ، وبذلك ذكره الذهبي وعجب منه ، ودانت له الدنيا وعانقته السعادة ، ودامت خلافته سبعاً وأربعين سنة ، ولم يتولها أحدٌ من آبائه هذه المدة ، ومن سعادته استرجاع بيت المقدس وسائر ساحل الشام إلا القليل من أيدي الافرنج في أيامه بعد أن ملكوه من أيام الإمام الأمر بأحكام الله الفاطمي إلى معرفته ، ففتح بأيدي الغز فكانوا ينتمون إليه^(٢) .

وكان الناصر العباسي مهيباً شجاعاً عالماً ، وعلى ما يظهر له معرفة بالعلوم الغربية ، أو كانت له قابلية يطلع به على السر . قال السيوطي : لما دخل رسول صاحب مازندران بغداد كانت تأتيه ورقة كلّ صباح بما عمل في الليل ، فصار - أي الرسول - يبالغ في التكتّم والورقة تأتيه بذلك ، فاخلى ليلة بامرأة دخلت من باب السرّ فصبحته الورقة بذلك ، وفيها : «كان عليكم دواج فيه صورة الفيلة» ، فتحيّر وخرج من بغداد وهو لا يشك أنَّ الخليفة يعلم الغيب .

(١) طبقات أعلام الشيعة ١ : ٤ - ٥ .

(٢) نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر - اليماني الصنعاني ١ : ٢٥٣ .

وأتى رسول خوارزم شاه برسالة مخفية وكتاب مختوم فقيل له : ارجع فقد عرفنا ما جئت به ، فرجع وهو يظن أنهم يعلمون الغيب .
قال الذهبي : إن الناصر كان مخدوماً من الجن^(١) .

وإذا كان السيوطي قد أوعز ذلك إلى علم الغيب ، فإن الناصر لا يستبعد أنه حُبِّي بعلم يطلع فيه على الضمائر لخصالٍ لعلها جعلته مستحقاً ليُتحف بهذه العلوم ، وأهمها معرفته بآل البيت عليهم صلوات الله وسلامه ، والقيام على محبتهم ، والاعتراف بحقهم ، حتى وصل به الأمر إلى أنه يرى نفسه وكيلاً عن الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف ، وهذا يعني مدى عقيدته بالأئمة عليهم السلام ، وصلته بهم ، وربما أظهر الله له هذه الكرامة لمعرفته بمقام آل البيت عليهم السلام ، فضلاً عن مراعاة الطالبين ومداراة شيعتهم .

قال السيوطي : وكان يتشيع ويميل إلى مذهب الإمامية بخلاف آبائه . وفي سنة ثمانين جعل الخليفة مشهد موسى الكاظم أمناً لمن لاذ به ، فالتجأ إليه خلق .
يُعدّ الخليفة الناصر لدين الله العباسي نقطة تحوّل في تاريخ الخلافة العباسية ؛ إذ استطاعت أن تحرّر فكرياً من قيود ما ورثه البيت العباسي من الخلاف والعداء لأئمة آل البيت عليهم السلام ، بل يُعدّ الناصر لدين الله نقطة تحوّل كذلك في تاريخ الإنسان الذي يستطيع أن يتحرّر من قيود العصبيّة إلى رحاب المعرفة ، ومن أسر الشهوة إلى آفاق العقل .



الخليفة العبّاسي الواثق بالله

هو الخليفة الواثق بالله أبو جعفر هارون بن أبي إسحاق المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور.

يُعدّ الواثق العبّاسي الخليفة التاسع أحد رجالات الثورة الفكرية الثقافية ، التي أخذت على عاتقها محاولة مسيرة التصحيح للواقع الفكري الذي يعيشه المسلمون ، وإذا كان الناصر والمنتصر والمعتضد العبّاسيون أكّدوا على القراءة الجديدة لمجريات الحدث الإسلامي ، فإنّ الواثق العبّاسي كانت انعطافاته الفكرية أصولية تتدخل في صميم الرؤية الإسلامية الصحيحة ، فقد بدأ الواثق العبّاسي ثورته الفكرية من التوحيد ؛ وذلك بنفي التشبيه الذي كان عالقاً في العقلية الفردية الإسلامية ، وقد انحدر من حيثيات التشبيه اليهودي الذي تبناه كعب الأحرار ، وأعانه على نشره أبو هريرة^(١).

على أنّ مشكلة خلق القرآن حملت في طياتها توجهاتها السياسية دون أن تأخذ المنحى العلمي المقرر لها ؛ لذا فإنّ القول بعدم خلق القرآن كان توجهاً سياسياً يمثل اجتهادات الحاكم السياسي وقتذاك النابعة من فلسفة السلف ، ولدوافع

(١) راجع ذلك في كتاب تاريخ الحديث النبوي بين سلطة النصّ ونصّ السلطة ، وكتاب أبو هريرة القادم من المجهول للمؤلف .

لا مجال لذكرها^(١)، ممّا حدى بالاتّجاه المعاكس إلى أن يلتزم الرأي المقابل لهذه الفلسفة، فرفعت شعار خلق القرآن، ودعت إلى التخلّي عن خلافه، ورمي معتقده بالكفر، من هنا فإنّ أئمة آل البيت عليهم السلام التزموا حياديّة المواقف إبان هذه الدعوة، ودعوا شيعتهم إلى الانعزال عن الزجّ في مثل هذه الفتن التي لا تهدف لشيء بقدر ما هي تصفيات لحسابات سياسيّة ومستحقّات أُسريّة عبّاسيّة.

كما أنّ فكرة الجبر السائدة إبان عهد المعتصم، والذي كان يتبنّاها، دعت خليفته الواثق العبّاسي إلى معاقبة معتنقها، وكون الجبر فكرة تدعو إلى الكفر والحياد عن الحقّ، ممّا حدى بالواثق إلى معاقبة أهل الجبر واتّهامهم بالكفر،

(١) تتلخّص نظرية أهل السلف بعدم خلق القرآن، بأنّ القرآن هو كلام الله تعالى، وكلامه عين ذاته لا شيئاً زائداً على ذاته، وإذا كان الأمر كذلك فإنّ ذاته قديمة بقدمه، وكلامه كعلمه وقدرته فهي عين ذاته وكلامه وهو القرآن عين ذاته، وليس زائداً على ذاته. نعم، الذي نقرأه ونكتبه من القرآن هو مخلوق، فالأعراض مخلوقة، أمّا القرآن نفسه فهو ليس بمخلوق. هذه هي نظرية من قال بعدم خلق القرآن، أمّا الذين قالوا بخلقه فإنّ الحوادث التي جرت ودُكرت في القرآن مقتضى ذكرها أن تكون حادثة، وكلّ حادثٍ مخلوق، فالقرآن مخلوق، فقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ سورة المجادلة: الآية ١ يقتضي أن يكون القرآن إخباراً لتلك الحادثة، ولكلّ الحوادث التي تحدّث عنها القرآن. أمّا موقف أئمة أهل البيت عليهم السلام من ذلك فإنّهم أغلقوا الطريق على هذه النزاعات العقيمة التي لم تُغيّر من الواقع العلمي والثقافي للأمة بقدر ما هي مناورات سياسيّة حاول الحكّام تصفية حساباتٍ لمعارضة معيّنة. ولم يكن أهل البيت عليهم السلام ليزجّوا الأمة بمثل هذا الصراع العقيم، فكانوا يجيبون من يسألهم عن خلق القرآن: القرآن كتاب الله. ولا يزيدوا على ذلك شيء حتّى أغلقوا الطريق على مثل هذه النزاعات العقيمة التي تُلهي الأمة عن مسيرتها ونموها؛ لذا عمدت الأنظمة السياسيّة، ومن ورائها توجهاتٍ فكريّة، إلى إشغال الأمة عن قضاياها المهمّة، وعن التفكير الجدي في مناحي الحياة العلميّة والفكريّة الجادة.

وهدر دمائهم وقتلهم ، كما أنه حارب التشبيه وطارد أهل التجسيم ، معتقداً خلافهما ، أي يذهب في ذلك إلى ما يذهب إليه الإمامية من نفي التشبيه ونفي الجبر .

قال السيوطي : وفي سنة إحدى وثلاثين ورد كتابه إلى أمير البصرة يأمره أن يمتحن الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن ، وكان قد تبع أباه في ذلك ، ثم رجع في آخر عمره .

قال السيوطي : وفي هذه السنة قتل أحمد بن نصر الخزاعي ، وكان من أهل الحديث ، قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أحضره من بغداد إلى سامراء مقيداً وسأله عن القرآن ، فقال : ليس بمخلوق ، وعن الرؤية في القيامة فقال : كذا جاءت الرواية ، وروى له الحديث ، فقال الواثق له : تكذب ، فقال للواثق : بل تكذب أنت ، فقال : ويحك ، يرى كما يرى المحدود المتجسم ويحويه مكان ويحصره الناظر ؟ إنما كفرت برّب صفته ما تقولون فيه ؟ فقال جماعة من فقهاء المعتزلة الذين حوله : هو حلال الضرب ، فدعا بالسيف ، فقال : إذا قتلت فلا يقوم أحد معي ، فإني احتسب خطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد رباً لا نعبد ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها ، ثم أمر بالنطح فأجلس عليه وهو مقيّد ، فمشى إليه ، فضرب عنقه ، وأمر بحمل رأسه إلى بغداد ، فصلب بها ، وصلبت جسّته في سرّ من رأى ، واستمر ذلك ست سنين إلى أن ولي المتوكّل ، فأنزله ودفنه . ولما صلب كتب ورقة وعلقت في أذنه فيها : هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك ، دعاه عبدالله الإمام هارون إلى القول بخلق القرآن ونفي التشبيه ، فأبى إلا المعاندة ، فعجّله الله إلى ناره ، ووكل بالرأس من يحفظه ويصرفه عن القبلة برمح^(١) .

أي اهتمّ الواثق العباسي بالمنحى الكلامي ، وتشدّد في التزام المدرسة الإمامية في الكلام ومذهبها في الاعتقاد ، حتّى بدى ذلك على تعامله مع العلويين معترفاً يحيى بن أكنم بإحسانه لآل أبي طالب ورعايته لهم ، فقال : ما أحسن أحد إلى آل أبي طالب ما أحسن إليهم الواثق ، ما مات وفيهم فقير^(١).

على أنّ الواثق يذكّرنا بالمأمون العباسي اعتقاداً وعملاً ، ولعلّ الواثق قد تأثر بالمنحى الكلامي الذي انتهجه المأمون العباسي فقد كان المأمون ينحى منحى المدرسة الإمامية الكلامية ، فضلاً عن حسن تعامله مع العلويين ، ولعلّ نصّ الصولي يوقفنا على حقيقة مهمة ، وهي تربية المأمون للواثق ورعايته واختصاصه به ، بل لعلّ المأمون العباسي رأى توجّهات الواثق منذ شبابه فقرّبه وخصّه وعظّمه وقّده على ولده ، وهذا نصّ الصولي : كان الواثق يسمّى بالمأمون الأصغر لأدبه وفضله ، وكان المأمون يعظّمه ويقّده على ولده^(٢).

وتقديم المأمون للواثق على ولده يفيدنا أنّ المأمون قد اكتشف مذهب الواثق الاعتقادي ، وتوجّهاته الكلامية التي تتفق ورؤية المأمون العدلية في الاعتقادات ، ممّا دعى المأمون إلى الاهتمام به وتقريبه إليه ، وهذه قرينة مهمة على تشييع الواثق واعتقاده ، وقد تقدّم الكلام في مذهب المأمون العباسي .

على أنّ الواثق يعترف بمقام الإمام عليّ بن محمّد الهادي عليه السلام ، فهو إذا عنت لديه مسألة علمية بعث إلى الإمام لمعرفة اعترافه بإمكانية الإمام وأهل بيته ، ولعلّ الحادثة التالية تشهد لذلك .

حكى الشيخ يوسف بن حاتم الشامي في الدرّ النظيم ، والسيوطي في الدرّ

(١) تاريخ الخلفاء - السيوطي : ٣١٦ .

(٢) المصدر المتقدم : ٣١٧ .

المنثور عن تاريخ الخطيب ، وهو عن محمد بن يحيى ، أنه قال : قال يحيى بن أكرم في مجلس الواثق والفقهاء بحضرته : من حلق رأس آدم حين حج ؟ فتعالى القوم عن الجواب ، فقال الواثق : أنا أحضركم من ينبئكم الخبر ، فبعث إلى علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فأحضر ، فقال : يا أبا الحسن من حلق رأس آدم ؟ فقال : سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلا أعفيتني ، قال : أقسمت عليك لتقولن ، قال : أما إذا أبيت فإن أبي حدثني عن جدي ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله ﷺ : أمر جبرئيل أن ينزل بياقوته من الجنة فهبط بها ، فمسح بها رأس آدم فتناثر الشعر منه ، فحيث بلغ نورها صار حرماً^(١) .

واستعفاء الإمام الهادي عليه السلام يشعر أن سؤال الإمام عليه السلام بحضور فقهاء الدولة يعني أن تقدماً سيحرزه الإمام عليه السلام على المستوى الرسمي ، أي إقرار الواثق العباسي بأن المسألة لا يجيب عليها إلا الإمام عليه السلام يشير إلى اعتراف بأعلميته وتقّمه على من سواه ، خصوصاً إذا كان الخليفة قد تبنى ذلك ، وهو إقرار بمشروعية الإمام عليه السلام ، وإمكاناته العلمية الفائقة ، وهذا يوجب من ناحية أخرى حسد هؤلاء الفقهاء فيدبروا للإمام عليه السلام مكائدهم المعروفة من قبل ، كما كان الأمر مع الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام - والد الإمام الهادي عليه السلام - حيث سأله المعتصم بحضور فقهاء الدولة ، ومنهم القاضي يحيى بن أكرم ، في مسألة اضطربوا في جوابها ، فأجاب الإمام الجواد عليه السلام ، فأخذ الخليفة بإجابته وأشاد بها ، مما دعى الفقهاء إلى الوشاية والسعي لتصفية الإمام الجواد عليه السلام ليخلو لهم الجو في حضرة البلاط العباسي ؛ لذا فاستعفاء الإمام الهادي عليه السلام يعكس مدى التوتر الذي يسود

جَوُّ البلاط العباسي بفقهاء وقضاته الذين يخشون من تقدّم الإمام الهادي عليه السلام وتعريتهم بعد ذلك ، واقصائهم من مناصبهم .

ويشهد لذلك ما رواه ابن شهر آشوب في مناقبه حينما وردت أجوبة الإمام الهادي عليه السلام حين سأل ابن السكيت بأمر المتوكل ، فلمّا قرأ أجوبة الإمام عليه السلام غاض ذلك يحيى بن أكثم ، وقال للمتوكل : ما تحب أن تسأل هذا الرجل عن شيء بعد مسألتي هذه ، وأنّه لا يرد عليه شيء بعدها إلّا دونها ، وفي ظهور علمه تقوية للرافضة ^(١) .

هذا ما كان يحذره فقهاء البلاط من توهج ذكر الإمام عليه السلام وتآلقه في كلّ المعارف ممّا يؤدّي بمناصب هؤلاء ، ويحدّد كياناتهم ووجوداتهم .

قال أبو الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبين : لا نعلم أحداً قُتل في أيامه ، إلّا أنّ عليّ بن محمّد بن حمزة ذكر أنّ عمرو بن نيع ، قتل عليّ بن محمّد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين ، ولم يذكر السبب في ذلك ، فحكيناؤه عنه على ما ذكره ، فقتل في الواقعة التي كانت بين محمّد بن ميكال ومحمّد بن جعفر هذا بالرّي . وكان آل أبي طالب مجتمعين بسرّ من رأى في أيامه ، تدور الأرزاق عليهم ، حتّى تفرّقوا في أيام المتوكل ^(٢) .

وفي الفخري : ولمّا توفيّ المعتصم وجلس الواثق في الخلافة أحسن إلى النّاس ، واشتمل على العلويّين ، وبالع في إكرامهم ، والإحسان إليهم ، والتعهد لهم بالأموال ^(٣) .

(١) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب ٤ : ٤٣٧ .

(٢) مقاتل الطالبين - أبو الفرج الاصفهاني : ٤٧٦ .

(٣) الفخري : ٢١٣ .

وهب بن عبدالله الكلبي النصراني شهيد الطفّ

قال المجلسي في البحار: أنّ وهب هذا كان نصرانياً فأسلم هو وأمه على يدي الحسين، فقتل في المبارزة أربعة وعشرين رجلاً، واثنى عشر فارساً، ثم أخذ أسيراً، فأتي به عمر بن سعد، فقال: ما أشدّ صولتك؟!

ثم أمر فضربت عنقه ورمي برأسه إلى عسكر الحسين عليه السلام، فأخذت أمّه الرأس فقبّلته، ثم رمت بالرأس إلى عسكر بن سعد، فأصابته به رجلاً فقتلته، ثم شدّت بعمود الفسطاط فقتلت رجلين، فقال لها الحسين عليه السلام: ارجعي يا أمّ وهب، أنت وابنك مع رسول الله، فإنّ الجهاد مرفوع عن النساء، فرجعت وهي تقول: إلهي، لا تقطع رجائي، فقال لها الحسين عليه السلام: لا يقطع الله رجاءك يا أمّ وهب^(١).

وهب بن عبدالله الكلبي هو غير عبدالله بن عمير الكلبي، ولنا تحقيق حول تعدّد الرجلين في كتابنا أنصار الحسين عليه السلام، فراجع هناك.



هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري

الملقب بالمرقال (ابن عمّ عمر بن سعد قاتل الحسين عليه السلام)

عدّه الشيخ من أصحاب أمير المؤمنين بقوله : هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال ، سمّي المرقال لأنّه كان يركل في الحرب ، وكان صاحب رايته ليلة الهرير.. كان من أصحاب رسول الله ﷺ . نزل الكوفة وكان من الفضلاء الأخيار ، وكان من الأبطال ، وفقئت عينه يوم اليرموك ، وكان خيراً فاضلاً . شهد مع علي عليه السلام الجمل وشهد صفّين ، وأبلى بلاءً حسناً ، ويده كانت راية علي عليه السلام على الرّجالة يوم صفّين.. وفي أسد الغابة أنّه الذي فتح جلولاء من بلاد الفرس ، وهزم الفرس ، وكانت جلولاء تسمّى فتح الفتوح ، بلغت غنائمها ثمانية عشر ألف^(١).

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفّين : لما أراد علي عليه السلام المسير إلى أهل الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : «أما بعد ، فإنّكم ميامين الرأي ، مراجيح الحِلْم ، مقاويلُ بالحقّ ، مباركو الفعل والأمر ، وقد أردنا المسير إلى عدوّنا وعدوّكم ، فأشيروا علينا برأيكم؟».

فقام هاشم المرقال بن عتبة بن أبي وقاص ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثمّ قال : أمّا بعد يا أمير المؤمنين ، فأنا بالقوم جدّ خبير ، هم لك ولأشياعك أعداء ،

وهم لمن يطلب حرث الدنيا أولياء، وهم مقاتلوك ومجاهدوك لا يُيقون جهداً؛ مشاحة على الدنيا، ضناً بما في أيديهم منها، وليس لهم إربةٌ غيرها، إلا ما يخدعون به الجهال من الطلب بدم عثمان بن عفان، كذبوا ليسوا بدمه يثأرون، ولكن الدنيا يطلبون. فسر بنا إليهم، فإن أجابوا إلى الحق فليس بعد الحق إلا الضلال، وإن أبوا إلا شقاق فذلك الظن بهم. والله ما أراهم يبائعون وفيهم أحد ممن يطاع إذا نهى ولا يُسمع إذا أمر^(١).

وروي أيضاً: أن زياد بن النضر الحارثي قال لعبدالله بن بُديل بن ورقاء: إن يومنا ويومهم ليومٌ عصيب، ما يصير عليه إلا كلٌ مشيع القلب، صادق النية، رابط الجأش. وأيم الله، ما أظن ذلك اليوم يُبقي منا ومنهم إلا الرذال. قال عبدالله بن بُديل: والله! أظن ذلك. فقال عليّ: «ليكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركما، لا تظهراه ولا يسمعه منكما سامع، إن الله كتب القتل على قومٍ والموت على آخرين، وكلّ آتية منيته كما كتب الله له. فطوبى للمجاهدين في سبيل الله، والمقتولين في طاعته».

فلما سمع هاشم بن عتبة مقاتلهم قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: سر بنا يا أمير المؤمنين إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وعملوا في عباد الله بغير رضا الله، فأحلّوا حرامه، وحرّموا حلاله، واستولاهم الشيطان، ووعدهم الأباطيل، ومَنّاهم الأماني، حتّى أزاغهم عن الهدى، وقصد بهم قصد الردى، وحبّب إليهم الدنيا، فهم يقاتلون على دنياهم رغبةً فيها، كرغبتنا في الآخرة، انجازاً لموعود ربّنا، وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله ﷺ رجماً، وأفضل الناس سابقةً وقُدماً، وهم يا أمير

المؤمنين منك مثل الذي علمنا، ولكن كُتِبَ عليهم الشقاء، ومالت بهم الأهواء، وكانوا ظالمين، فأيدينا مبسوطه لك بالسمع والطاعة، وقلوبنا منشرحة لك ببذل النصيحة، وأنفسنا تنصرك جَذِلَّةً على من خالفك، وتولَّى الأمر دونك. والله ما أحبُّ أن لي ما في الأرض ممَّا أفلت، وما تحت السماء ممَّا أظلت، وأنِّي واليُّ عدوِّك، أو عاديُّ وليِّك لك. فقال عليّ: «اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك، والمرافقة لنبيِّك صلَّى الله عليه وآله»^(١).

قال ابن حجر في الإصابة: قتل عمار بن ياسر وهاشم بن عتبة بيوم صفين. وعن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: شهدنا صفين مع عليّ، وقد وكلنا بفرسه رجلين، فإذا كان من القوم غفلة حمل عليهم، فلا يرجع حتَّى يخضب سيفه دماً، قال: ورأيت هاشم بن عتبة وعمار بن ياسر يقول له: يا هاشم،

أعور يبغي أهله محلاً قد عالج الموت حتَّى ملا
لا بدّ أن يغفل أو يُغلا

قال: ثمّ أخذوا في وادٍ من أودية صفين، فما رجعا حتَّى قتلا. وأخرج عبد الرزاق عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن هاشماً أنشده [أي أنشد الأبيات المتقدّمة حاكياً عن نفسه رضوان الله عليه].

وقال المرزباني: لمّا جاء قتل عثمان إلى أهل الكوفة قال هاشم لأبي موسى الأشعري: تعال يا أبا موسى بايع لخير هذه الأمة عليّ، فقال: لا تعجل، فوضع هاشم يده على الأخرى فقال: هذه لعليّ، وهذه لي، وقد بايعت عليّاً، وأنشده: أبايع غير مكترثٍ عليّاً ولا أخشى أميراً أشعريّاً

أبايعه واعلم أن سأرضي بذاك الله حقاً والنبياً^(١)

وروى الحاكم في مستدركه ، عن زفر بن الحارث ، قال : كنت رسول معاوية إلى عائشة رضي الله عنها في وقعة صفين ، فقالت عائشة : مَنْ قتل من الناس ؟ فقلت : عمار بن ياسر ، فقالت عائشة : ذاك الرأس يتبعه الناس لدينه ، قالت : ومن ؟ قلت : هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الأعور ، قالت : ذاك رجل ما كادت أن تزل دابته^(٢) .

كناية عن استقامته ، أي لم تزل رجله عن الحق .

على أن هاشماً هذا ابن أخ سعد بن أبي وقاص ، مات سعد ولم يبايع علي ، وكان منعزلاً عنه ، بل منحازاً إلى غيره ، وحينما عاتبه علي عليه السلام على عدم خروجه معه قال : أعطني سيفاً يميز بين الحق والباطل ، منكرأ أحقية علي عليه السلام ، ومشككاً في مشروعيته .

وهاشم هو ابن عم عمر بن سعد قاتل الحسين عليه السلام ، في وقعة لم يأت بها التاريخ فضاعة ولا بشاعة ولا وحشية .

وأبوه عتبة بن أبي وقاص الزهري مات كافراً لم يسلم ، وهو الذي كسر رباعية النبي صلى الله عليه وآله ، فدعا عليه النبي صلى الله عليه وآله^(٣) .

ولم يخرج من أهل هذا البيت سوى هاشماً في ولائه لأهل بيت نبيه ، مات شهيد الولاية في صفين رضوان الله عليه .

(١) الإصابة ٣ : ٥٩٣ .

(٢) المستدرک - الحاكم النيسابوري ٣ : ٤٤٦ - كتاب معرفة الصحابة (في مناقب هاشم بن عتبة) .

(٣) المصدر المتقدم : ١٦١ .

هند بنت عبدالله بن عامر بن كريز (امرأة يزيد بن معاوية)

روى الخوارزمي في مقتله أنَّ هند بنت عبدالله بن عامر بن كريز امرأة يزيد ،
حيث رأت رأس الحسين عليه السلام ، خرجت وهي حاسرة ، فوثبت على يزيد وقالت :
أرأس ابن فاطمة مصلوب على باب داري ؟ فغطّاها يزيد وقال : نعم ، فاعولي
عليه يا هند^(١).

فموقف هند هذه موقفاً رائعاً كشفت من خلاله تزييف الحق الذي ارتكبه
يزيد.



(١) مقتل الخوارزمي ٢ : ٨١ ، وراجع مقتل السيّد المقرّم : ٣٥٥ .

المَصَادِرُ

إبصار العين	الشيخ محمد السماوي
أبو هريرة القادم من المجهول	المؤلف
الاحتجاج	الطبرسي
الإصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر
أعيان الشيعة	السيد محسن الأمين العاملي
الأغاني	أبو الفرج الاصفهاني
بحار الأنوار	العلامة المجلسي
البداية والنهاية	ابن كثير
البدء والتاريخ	المقدسي
تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي
تاريخ الحديث النبوي بين سلطة النصّ ونصّ السلطة	المؤلف
تاريخ الخلفاء	السيوطي
تاريخ الطبري	ابن جرير الطبري
تاريخ مختصر الدول	ابن العبري
تاريخ اليعقوبي	اليعقوبي
تنقيح المقال	المامقاني
تهذيب التهذيب	ابن حجر
حياة الحيوان	الدميري
دلائل الإمامة	أبو جعفر الطبري

الروضة الفيحاء في أخبار النساء.....	ياسين الموصلي
شرح نهج البلاغة.....	ابن أبي الحديد
صفّين.....	نصر بن مزاحم
الصواعق المحرقة.....	ابن حجر
طبقات أعلام الشيعة.....	الشيخ آقا بزرگ الطهراني
العقد الفريد.....	ابن عبد ربّه الأندلسي
الفخري.....	المروزي العلوي
الكامل في التاريخ.....	ابن الأثير
اللهوف.....	ابن طاووس
مثير الأحزان.....	ابن نما الحلي
محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية.....	محمّد الخصري بك
مروج الذهب.....	المسعودي
المستدرك على الصحيحين.....	الحكم النيسابوري
معجم رجال الحديث.....	أبو القاسم الخوئي
مقاتل الطالبين.....	أبو الفرج الاصفهاني
مقتل الحسين عليه السلام.....	السيد عبدالرزاق المقرّم
مقتل الإمام الحسين عليه السلام.....	الخوارزمي
مناقب آل أبي طالب.....	ابن شهر آشوب
المنتظم.....	البحراني
منتهى الآمال.....	الشيخ عباس القميّ
الموفقيّات.....	الزبير بن بكار
نسمة السحر بذكر من تشييع وشعر.....	اليمني الصنعاني
ينابيع المودة.....	القندوزي

المحتويات

الإهداء.....	٣
المقدمة.....	٥
تمهيد.....	٧
أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي.....	١٩
أبو الحتوف بن الحرث الأنصاري.....	٢٠
أخت السندي بن شاهك.....	٢١
امرأة من آل بكر بن وائل.....	٢٢
الحارث بن امرئ القيس الكندي.....	٢٣
الحرّ بن يزيد الرياحي.....	٢٤
خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي.....	٢٦
خالد بن سعيد أسبق إسلاماً من أبي بكر خلاف ما يُدعى ويُثار... ..	٢٩
رسول قيصر ملك الروم إلى يزيد بن معاوية.....	٣٠
زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور.....	٣٢
زهير بن سليم الأزدي.....	٣٨
زهير بن القين.....	٣٩
سعد الأموي.....	٤٠
سعد بن الحرث الأنصاري.....	٤٢
سلمان بن مضارب.....	٤٣

- ٤٤ عبدالرحمن بن الحكم بن أبي العاص
- ٤٧ عبدالله بن بشر الخثعمي
- ٤٨ علي بن صلاح الدين الأيوبي
- ٥١ الخليفة العباسي المأمون
- ٥٧ تشييع المأمون في الميزان
- ٥٨ ظروف «الخلافة المأمونية»
- ٦٢ الانعطافات الفكرية لدى المأمون ... إعتقاد راسخ، أم تكتيك مبرمج؟
- ٨٥ المحسن بن صلاح الدين الأيوبي
- ٨٦ محمد بن أبي بكر بن قحافة رضوان الله تعالى عليه
- ٩٣ محمد بن أبي حذيفة الأموي
- ٩٦ معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان
- ٩٩ ظاهرة معاوية بن يزيد
- ١٠٤ الخليفة العباسي المعتضد بالله
- ١١٨ الخليفة العباسي المنتصر بالله
- ١٢١ المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي
- ١٢٣ الخليفة العباسي الناصر لدين الله
- ١٢٧ الخليفة العباسي الواثق بالله
- ١٣٣ وهب بن عبدالله الكلبي النصراني شهيد الطّف
- ١٣٤ هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري
- ١٣٨ هند بنت عبدالله بن عامر بن كريز
- ١٣٩ المصادر
- ١٤١ المحتويات

كتب مطبوعة للمؤلف

- ١ - موسوعة أدب المحنة
- ٢ - خلفاء المدرستين، قراءة في نصوص أهل السنة
- ٣ - عقائد الإمامية.. برواية الصحاح السنة
- ٤ - ما تؤل من القرآن في شأن فاطمة الزهراء عليها السلام
- ٥ - مقامات فاطمة الزهراء عليها السلام
- ٦ - كشف البصر عن تزويج أم كلثوم من عمر
- ٧ - عقيلة قريش آمنة بنت الحسين الملقبة بسكينة
- ٨ - أبو هريرة.. القادم من المجهول
- ٩ - تاريخ الحديث النبوي.. بين سلطة النصّ ونصّ السلطة
- ١٠ - وقفوهم أنّهم مسؤولون
- ١١ - عقائدنا بين السائل والمجيب
- ١٢ - الملتحقون بسفينة النجاة (الكتاب الذي بين يديك).

كتب لم تطبع

- ١ - أنصار الحسين عليه السلام
- ٢ - الولاية.. بين الشيعة وأهل السنة
- ٣ - محاولات تأسيسية في تأصيل النهج